الإنصـــــاف عند الاختـــــلاف
وأثره في
الحيـــــاة الإنسانيـــة

دكتور/ رياض السيد السيد عاشور

المدرس بقسم الثقافة الإسلامية

ملخص البحث:

قام الباحث بتسليط الضوء على موضوع:(الإنصاف عند الاختلاف ببيان أهميته في الإسلام وتأصيله الشرعي، فالإنصاف والعدل في الحكم مبدأ عام على أولياء الله وعلى أعدائه سواء بسواء، وهو قوام المجتمع الإسلامي، والانحراف عنه – ولو قيد أنملة . يؤدي إلى فساد متسلسل وشر مستطير.

وقد تعرض الباحث للأسس والركائز التي يقوم عليها الإنصاف ، ومجالاته في جوانب الحياة المختلفة. من هذه الركائز:
١. الإخلاص في طلب الحق، ودحر الهوى. ٢. نبذ التعصب الأعمى، وإعذار المخالف.

٣ . الموضوعية في النقد. ٤ . التجرد من المقررات والأحكام السابقة قبل دراسة النصوص.

٥. استجماع الأدلة والتثبت من حجج المخالف. ٦. شجاعة الاعتراف بالخطأ، وقبول الحق متى لاح.

أما مشكلة البحث: فتتمثل في الإجابة على الأسئلة التالية:

ما الإنصاف؟ وما حدوده ومعالمه ؟ وما مجالاته وركائزه التي لا يتم تطبيقه إلا من خلالها؟

وما نماذجه العملية من القرآن الكريم والسنة النبوية وتطبيقات في خير القرون؟ وكيف نستلهم من هذه النماذج ما يرغب في العمل به في كل عصر ومصر؟ وما آثاره الإيجابية على الفرد والمجتمع؟

هذا ما سيقوم البحث بالإجابة عنه وبيانه.

ومما استخلصته من قواعد:

١. تحريم الظلم والبغي مع المخالفين وغمطهم حقوقهم.

٢. ذكر حسنات المخالف والاعتراف بمزاياه.

٣. افتراض الصواب عند المخالف ولو على سبيل الاحتمال، ويبلغ الإنصاف ذروته حين يتنزل الإسلام مع المخالفين في الخطاب فيفترض . على سبيل الجدل . صحة زعمهم أنهم على الحق، وأن المسلمين في ضلال مبين وذلك في مثل قوله تعالى: (ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ)[١] وقوله تعالى: (ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ).[٢]

٤. عدم التعميم في الحكم على المخالفين، وإنصاف المقسطين منهم.

٥. إنصاف أصحاب السابقة والفضل، وإعذار من أخطأ.

وذكرت نماذج على هذا وغيره من القرآن والسنة وتطبيقاته في التاريخ الإسلامي.

الكلمات الدالة:
الإنصاف-الاختلاف-أثر-الحياة-الإنسانية

---

(١) سبأ آية ٢٤.

(٢) سورة سبأ الآية ٢٥.

المُقدَّمـة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والتسليم على السراج المنير البشير النذير الذي أرسله ربه رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبع هداه بإحسان إلى يوم الدين، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وبعد

فإن من أشد أدواء الأمة خطراً على حاضرها ومستقبلها، على فاعليتها ورسالتها العالمية المنوطة بها في حمل رسالة الإسلام ما ابتليت به من داء الفرقة والخلاف، والعصبية والانقسام.

وإن تاج الأوصاف التي يتحلى بها المرء في لجج الخلاف: خلق العدل والإنصاف. وهو خلق جد عزيز، لا يتيسر إلا لمن له قوة على مجاهدة نفسه، ودحر هواها، وقمع حظوظها أن تحول بينه وبين تحقيق العدل والإنصاف. وربما كان يسيرا على المرء أن يكون منصفاً في حال الرضا، لكن عزَّ من الناس من ينصف في حال الخلاف والغضب، أو في حال الحرص والطمع فهذا موطن امتحان، ومَزَلَّة أقدام لا ينجح فيه إلا من تحلى بآداب الخلاف السامية، وأخلاق الحوار الراقية، فنبذ التعصب، واتسع أفقه، وعظم فقهه، ولم يبن أحكاماً على الظن والشبهة، وتراه حين يخلص لربه قد تيقن قلبه أن انتصار الحق وعلو رايته أغلى وأولى من انتصار رأيه، وتحقق ما يرضي الله تعالى أحلى وأشهى من نيل مآربه وحصول مراده.

والعدل والإنصاف عندنا نحن المسلمين فريضة من فرائض الأخلاق القرآنية التي قررها القرآن الكريم في أكثر من موضع، وأكد على ضرورة العمل بها، وجعلها قاعدة عامة تحكم شتى العلاقات الإنسانية.

وتتأكد وجوبية هذا الخلق في حق الخاصة، كالعالم في تعليمه للناس، والقاضي في قضائه بين الناس، والمفتي فيما يسند إليه من فتاوى، والباحث فيما يتعرض له من بحوث وقضايا في علوم الدين والدنيا، لا سيما من تدخل لفض النزاع وحسم الخلاف في المسائل العلمية، وعند الموازنة والحكم على آراء المجتهدين فلا بد أن يرافق رسوخه في العلم رسوخ في الديانة وبالتقوى، وتحلِ بالورع والخشية تلك التي خصَّ الله بها من عباده العلماء.

لقد وضع الإسلام قواعد هذا الخلق القويم، ورسم حدوده، وبين معالمه رسولنا الكريم سيدنا محمد ﷺ حتى غدا واقعاً عملياً في حياة صحابته الكرام رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان، فلهجت به ألسنتهم، وازدانت به حياتهم وعلاقاتهم، فرأوه من مكملات الإيمان، وجميل السجايا الحسان، من ذلك ما أخرجه البخاري بسنده عَنْ عَمَّار . رضي الله عنه . أَنَّهُ قال: **(ثَلاَثٌ مَنْ جمعهن فقد جمع الإِيْمَانَ: الإِنْفَاقُ مِنَ**

الإِقْتَارِ، وَالإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ).[٣]

ونرى ملامح هذا الخلق الكريم بادية في سيرة الأنبياء والمرسلين – عليهم صلوات الله وسلامه – من ذلك ما حكاه القرآن الكريم عن سيدنا موسى – عليه السلام–عندما قال: چ و و ۇ ۇ ى ى ې ې ۉ ۉ ئا ئا ئە ئە ئو چ(٤) فهذا من باب الاعتراف بمزايا الآخرين، وهو من الإنصاف الذي أمرنا به شرعا. ونقيض ذلك: الكبر والإصرار، والجدال بالباطل والتأويل الفاسد للنصوص، مما ترتدُّ جذوره إلى موقف إبليس اللعين الذي حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى: چ ې ې ې ې ۅ ۅ ۋ ۋ ۇ ۇ چ[٥]

وفي إنصاف النبي ﷺ للمخالفين في العقيدة خير برهان ودليل يقول ﷺ: (ألا مَن ظَلم مُعاهَداً أو انتَقصَهُ أو كلَّفَهُ فوقَ طاقَتِه أو أخَذ منهُ شيئاً بِغيرِ طِيبِ نَفسٍ فأنا حَجِيجُهُ يوم القيامةِ، وَمَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِيحَ الْجَنَّة)([٦]) فهذا أكمل الإنصاف.

مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في الإجابة على الأسئلة التالية:

ما الإنصاف؟ وما حدوده ومعالمه؟.

وما مجالاته وركائزه؟

وما هي تطبيقاته ونماذجه العملية،

وما آثاره الإيجابية على الفرد والمجتمع؟

هذا ما سيقوم البحث بالإجابة عنه وبيانه.

أهمية الموضوع: وتظهر في النقاط التالية:

١– أنَّ الإنصاف خلق أصيل من مكارم الأخلاق التي تمت وكملت ببعثة رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، ومبدأ أصيل من مبادئ الدين التي لا تتغير تبعا للأهواء والمصالح؛ لأنه قوام المجتمعات

([٣]) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الإيمان باب إفشاء السلام من الإسلام) (١/١٥) دار طوق النجاة ط: الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ووصله عبد الرزاق في مصنفه: (١٠/٣٨٦ رقم ١٩٤٣٩)، وأحمد في الإيمان ويعقوب بن شيبة في مسنده (كما في الفتح ١/ ٨٢) قال الحافظ ابن حجر:" وهو وإن كان موقوفا إلاّ أنّ مثله لا يقال بالرأي فهو في حكم المرفوع". (فتح الباري: (١/ ٨٢) دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ.

([٤]) سورة القصص، آية: ٣٤.

([٥]) سورة الأعراف بعض من آية ١٢، وسورة ص / ٧٦.

([٦]) سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، باب: (في الذمي يسلم في بعض السنة) ٤/٦٥٨، برقم:٣٠٥٢، والسنن الكبرى للبيهقي، باب: لا يأخذ المسلمون من ثمار أهل الذمة، ٩/ ٣٤٤، برقم: (١٨٧٣١)

الحية، وبه يستقيم ميزان التعامل، وتزداد روابط الأخوة قوة ومتانة، ويسود الأمن والاطمئنان.

٢- والإنصاف – لمن تحقق به –أعظم دليل وبرهان على تجرد صاحبه للحق وحده، وعدم الخلط بين الأشخاص وبين ما يحملون من أفكار ومبادئ، أو ما يعتنقونه من أديان ومذاهب.

٣- أنَّ الإنصاف غدا قيمة شبه غائبة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، في البيت والمصنع، والمتجر والمزرع، بل في الإعلام ومنابر العلم والمعرفة إلى غير ذلك كله.

٤- ولأنَّ الإنصاف في دين الإسلام قيمةٌ مطلقة، وليست نسبيةً كما هي الحال في مناهج البشر وقوانينهم؛ فهي كلٌّ لا يتجزأ، فإما إنصافٌ وإما حيف، وإما رجلٌ منصفٌ أو رجلٌ جائر؛ فلا يمكن أن يكون المرء منصفًا جائرًا في وقت واحد؛ إذ كيف يكون منصفًا وأبكم عن الحق في آنٍ واحد: چ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ چ[٧]

٥- وبالإنصاف يشعر الفرد والأسرة والمجتمع بالأمان والرضا والقناعة؛ إذ لا أضر عليهم في حياتهم ومعاشهم وشئونهم كلها من الظلم والجور واتباع الهوى، وبالإنصاف يوثق بالعالِم، ويطمئن إلى القاضي، ويؤخذ من الصحفي، ويوثق في المسئول.

٦- والإنصاف خلق عزيز، قلَّ من يتخلق به في هذا الزمان، وصدق مالك بن دينار يوم أن قال في زمانه: "ليس في الناس شيءٌ أقل من الإنصاف"(٨)، وقال جعفر بن سعد: "ما أقلَّ الإنصاف، وما أكثر الخلاف" (٩).

ولله در المتنبي إذ يقول: ولمْ تزَلْ قلةُ الإنصافِ قاطعةً ...

بيْن الرجالِ وإنْ كانُوا ذوِي رَحِم (١٠)

٧- والناظر في نصوص القرآن والسنة يرى تأكيدا قوياً على أهمية هذا الخلق، وقوة العلاقة بينه وبين الإيمان بالله واليوم الآخر، والعمل بمقتضاه مما يجعل هذا الموضوع جديراً بالدراسة، لذلك اجتهدت في جمع شوارده، وجني فوائده من بطون الكتب والدراسات القديمة والحديثة وتحليلها، واستخلاص الدروس والفوائد منها.

---

(٧) سورة النحل آية ٧٦ .

(٨) الآداب الشرعية لابن مفلح (عبد الله محمد بن مفلح المقدسي) ٢/ ١٨٨ تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت . مؤسسة الرسالة.

(٩) المرجع السابق ٢/ ١٠٨.

(١٠) شرح ديوان المتنبي١/٣٥٧، والصبح المنبي عن حيثية المتنبي، باب عداوة الشعراء بئس المقتنى١/١١٨.

أسباب الكتابة في الموضوع:

١- أنه مع كثرة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع – قديماً وحديثاً – إلا أنَّ معالجتهم غلب عليها الطابع الفقهي، من هنا باتت الحاجة ماسةً إلى معالجته من الوجهة الدعوية.

٢- ولأهمية الإنصاف خاصة عند الخلاف أو الاختلاف في العقيدة أو المذهب أو الرأي، مع أنَّ الاختلاف سنة فطرية فُطر الخلق عليها، ويجب عليهم قبولها، وحسن التعامل معها.

٣- ولأن إنصاف الخصم، والعدل معه وعدم الجور على حق من حقوقه عند البغض أو الخلاف، وتمثل هذا الخلق في واقع الحياة له عظيم الأثر في تأليف النفوس، وجذب القلوب إلى دعوة الإسلام، ومن ثم فإن تمثل هذه المبادئ والعمل بها يسهم إسهاماً إيجابياً في حسن الدعاية للإسلام، ونشر مبادئ الدعوة الإسلامية والإيمان بها.

٤- أنَّ نفراً ممن تصدوا للخوض في المسائل العلمية، بغية الترجيح بين آراء المجتهدين فيها، وبيان الأقرب إلى الصواب منها، لم يتجردوا من نزعاتهم الحزبية، أو التعصب لانتماءاتهم الفكرية، وربما كانت لهم مآرب أخرى، ويزداد الأمر خطورة حين يختلط الحق بالأهواء، فيرى البعض الحق والصواب في جانبه، دون أن ينعم النظر في حجج المخالفين، بل ويغض الطرف عن مواطن الضعف في آرائه التي ربما لو صدرت من غيره لكان أول المفندين لها؛ كل هذا بسبب غياب فريضة: العدل والإنصاف، والركون إلى الظلم والإجحاف. لهذه الأسباب وغيرها أحببت أن أكتب في هذا الموضوع مستعيناً بالله الكريم المنان، راجياً منه تعالى العون والغفران.

الدراسات السابقة:

لم يفت علماءنا الأجلاء – القدامى منهم والمحدثين –أن يتناولوا موضوع الإنصاف خاصة عند الخلاف ضمن مصنفاتهم في العلوم الشرعية، بل وأفردوه بالبحث والتأليف، والبيان والتوضيح : فمن القدامى على سبيل المثال:

- الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف لابن عبد البر النمري (المالكي ت: ٤٦٣هـ)
- الإنصاف في مسائل الخلاف لابن العربي المعافري (المالكي ت: ٥٤٣هـ)
- الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف ، لابن السيد البطليوسي (مالكي ت:٥٢١هـ)
- الإنصاف في مشاجرة الأسلاف ، لطاش كبري زادة (الحنفي ت: ٩٦٨هـ)
- إيثار الإنصاف ، لعلم الدين العراقي (الشافعي ت: ٧٠٤هـ)
- إيثار الإنصاف في آثار الخلاف ، لسبط ابن الجوزي (الحنبلي ثم الحنفي ت: ٦٥٤هـ).
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، لعلاء الدين المرداوي (الحنبلي ت: ٨٨٥هـ)
- الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي الوفاء بن الأنباري (الشافعي ت: ٥٧٧هـ)

- الإنصاف في علم الخلاف، لمحمد الأسدي المقدسي (الشافعي ت: ٨٠٨هـ).
- الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، لشاه ولي الله الدهلوي (الحنفي ت: ١١٧٦هـ).

ومن المعاصرين من تعرض لهذا الموضوع من قريب أو من بعيد، من ذلك على سبيل المثال:

- الإنصاف في القرآن وأثره الإعلامي للدكتور عبد الحليم حفني (الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٩٢م).
- الإنصاف فيما أثير حوله الخلاف للدكتور عمر عبد الله كامل ط الأولى ٢٠١٠م دار الوابل الصيب.
- الإنصاف في مباحث الخلاف للشيخ أحمد بن ناصر بن عثمان معمر (بحث منشور على شبكة الإنترنت بتاريخ: ٢٠- ١٢ - ٢٠٠٣ميلادي، ٢٦-٤-١٤٣٣هـ.
- أهمية مراعاة أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين- أ.د/ جمال فاروق جبريل محمود ، بحث بمجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد(الثاني عشر) للعام ١٤١٩هـ/١٩٩٨م
- الاختلاف أسبابه وضوابطه بحث للدكتور/بدر الماص كلية التربية بالكويت العدد السادس عشر الإصار الثاني ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م

منهجي في البحث:

التزمت في بحثي المنهج الإستقرائي التحليلي: فقمت باستقراءِ النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ذات العلاقة، ورجعت إلى كتب التفسير – القديم منها والحديث – فاخترت منها أقربها وأليقها بموضوع بحثي، ورجعت إلى شروح السنة المشرفة، وأقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم والأئمة المهتدين، فتوجت بها كلمات البحث، وطوفت في كتب العلماء مؤلفاً بين النصوص والأقوال، مناقشاً بينها حيناً ومحللاً وموازناً بين الأقوال حيناً آخر، والتزمت الأمانة العلمية فيما أخذت وما تركت، واستفدت ممن سبقوني بالبحث ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

هذا وقد جعلت البحث على النحو التالي:

المقدمـة: واشتملت على:

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث وخطته، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: الإنصاف وأهميته في الإسلام.

المبحث الثاني: بين الإنصاف والعدل والاختلاف.

المبحث الثالث: ركائز الإنصاف ومجالاته.

المبحث الرابع: الإنصاف في القرآن الكريم.

المبحث الخامس: الإنصاف في السنة النبوية المشرفة.

المبحث السادس: نماذج من الإنصاف عند الاختلاف.

المبحث السابع: أمور تتعارض مع الإنصاف.

المبحث الثامن: أثر الإنصاف في الحياة الإنسانية.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

هذا ما حاولت جهدي أن أقدمه، فإن أكن قد وفيت فمن الله التوفيق، ولله الحمد والمنة، وإن كنت قد قصرت فحسبي أني بذلت جهدي، وأخلصت في قصدي، وجزي الله كل من اطلع فيه على خطأ أو عيب فدلني عليه، وأخلص لي النصح، وأسأله – سبحانه وتعالى – ألا يحرمني جزاء من اجتهد، أخطأ أو أصاب،

صل اللهـم وسلـم وبارك على رحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول:

الإنصاف وأهميته في الإسلام

اولاً: تعريف الإنصاف:

الإنصاف لغة: العدل في القول والفعل، وفي معاملة الناس والحكم لهم أو عليهم، وأن يبذل لهم مثل الذي يحبه لنفسه منهم، لذا يقول الراغب الأصفهاني: والإنصاف في المعاملة: العدالة وذلك ألا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا مثلما يعطيه، ولا ينيله من المضار إلا مثلما يناله منه ... والانتصاف والاستنصاف طلب النصفة"(١١)

ويقول ابن منظور: أَنصف: إذا أَخذ الحق وأَعطى الحق، والنصَفة اسم الإنصاف، وتفسيره أَن تعطيه من نفسك النَصَف أَي تُعْطيه من الحق كالذي تستحق لنفسك، ويقال انتصفت من فلان: أَخذْت حقي كَمَلاً حتى صرت أَنا وهو على النَّصَف سَواءً، وتَنَصَّفْت السلطان أَي سأَلته أَن يُنْصِفَني، والنِّصْفُ الإنْصافُ، وأَنصَف الرجلُ أَي عدل، ويقال أَنْصفَه من نفْسه، وانْتصفْت أَنا منه وتَناصَفوا أَي أَنصف بعضُهم بعضاً من نفسه، النصف بالكسر الانتصاف وقد أَنصَفه من خصمه يُنْصِفُه إنْصافاً ونَصَفه ينْصِفه ويَنْصُفه نَصْفاً ونِصافة ونَصافاً"(١٢)

والخلاصة: أن الإنصاف في معناه اللغوي مأخوذ من النَصَف (بالفتح أو بالكسر) وهو: الوقوف على مسافة واحدة بين جهتين مختلفتين، أو رأيين متعارضين ولو لم يكن طرفا في الخصومة أو النزاع، فيقف موقفاً وسطاً لا انحياز فيه ولا تعصب لطرف على طرف بغير حق، وهذا التعريف يظهر مدى العلاقة بين الإنصاف والوسطية من جانب، وبينه وبين العدل من جانب آخر.

أما المفهوم العلمي والخلقي للإنصاف فهو أعم من ذلك وأوسع، إذ يراد به: إعطاء الناس ما يستحقونه كاملا، بلا بخس ولا تحيز ولا محاباة. وقد يكون ذلك بالأقوال، وقد يكون بالأفعال، أو بهما معاً في آن واحد. ولا شك أن هذا المفهوم يتشابه . ويكاد يتطابق . مع مفهوم العدل. ولذلك قال بعض العلماء: العدل والإنصاف توأمان".(١٣)

ثانياً: أهمية الإنصاف في الإسلام :

جاءت دعوة القرآن الكريم إلى إقامة العدل والإنصاف، وقيام الناس بالقسط بصيغة الأمر

---

(١١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص٧٥٥، كتاب النون مع الصاد مادة:(نصف) ط: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٠م.

(١٢) لسان العرب، (محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري) مادة نصف ٩/ ٣٣ الطبعة الأولى دار صادر – بيروت.

(١٣) (التوقيف على مهمات التعاريف ، للمناوي ، ص ٦٤ ، تحقيق عبد الحميد حمدان . القاهرة ١٤١٠). وانظر:(من معالم الوسطية: الإنصاف عند الاختلاف) مقال أ.د.أحمد الريسوني على صفحته على الشبكة العنكبوتية بتاريخ ١٥مارس ٢٠١٢م.

الذي يفيد الوجوب والإلزام في مثل قول الله جل شأنه: ﭽ ۋ ۋ ۅ ې ې ﯦ ﯧﭼ [14] **وقوله : ﭽ** ﮔﮕ ۇ ۇ ۆ ۆ ﭼ[15]. وقوله تعالى: (ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞﭼ [16] وقال وقال تعالى لنبيه ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭﭼ[17]ﭽ ﯩ ﯪ ﯫﭼ [18] لنفهم من هذه الأوامر كلها أن الإنصاف ليس مجرد فضيلة من الفضائل، أو سنة من السنن المندوبة، بل شريعة ودين يجب اتباعه، وأنه قوام المجتمعات الحية القوية.

ولا يختلف الأمر في السنة النبوية المشرفة عن القرآن فكلاهما ينبعان من مشكاة واحدة، إذ نجد فيها أيضا فيضاً من الأحاديث والآثار التي تدعو بألفاظ مختلفة مع اتحاد في المعنى إلى وجوب التزام هذا الخلق – خلق الإنصاف – وتجعله امتداداً للإيمان بالله واليوم الآخر. أما عن ورود الإنصاف صريحاً بلفظه:

- فقد روى البخاري في صحيحه عن عمار رضي الله عنه: (ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار)(١٩). يقول الإمام النووي: وروينا هذا في غير البخاري مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ (٢٠) قلت: قد جمع في هذه الكلمات الثلاث خيرات الآخرة والدنيا، فإن الإنصاف يقتضي أن يؤدي إلى الله تعالى جميع حقوقه وما أمره به، ويجتنب جميع ما نهاه عنه، وأن يؤدي للناس حقوقهم، ولا يطلب ما ليس له، وأن ينصف أيضا نفسه فلا يوقعها في قبيح أصلاً. وأما (بذل السلام للعالم) فمعناه لجميع الناس، فيتضمن ألا يتكبر على أحد، وألا يكون بينه وبين أحد جفاء يمتنع بسببه من السلام عليه. وأما (الإنفاق من الإقتار) فيقتضي كمال الوثوق بالله تعالى والتوكل عليه، والشفقة على المسلمين، إلى غير ذلك".(٢١)

وهذ القول . الذي يشبه كلام النبوة . من سيدنا عمار Δ ما: (ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان) الخ

---

(١٤) سورة النساء، الآية ٥٨.

(١٥) سورة الحجرات، الآية ٩.

(١٦) سورة النساء، الآية ١٣٥.

(١٧) سورة المائدة، الآية: ٤٢.

(١٨) سورة الشورى، من الآية: ١٥.

(١٩) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، باب إفشاء السلام من الإسلام ، ١/ ١٥.

(٢٠) الحديث رواه الطبراني في الكبير مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفيه القاسم أبو عبدالرحمن وهو ضعيف اظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب في حقيقة الإيمان ١/ ٥٧،

(٢١) انظر: الأذكار للإمام النووي ، ٢١٢، باب فضل السلام ١/ ٥٤١)

الحديث. كلام جامع لأصول الخير وفروعه. (٢٢)

- وروى ابن المبارك بسنده عن رسول الله ﷺ قال: (أسد الأعمال ذكر الله على كل حال، والإنصاف من نفسك، و مواساة الأخ في المال"(٢٣)

هذا ما ورد عن الإنصاف بلفظه، أما عن ورود الإنصاف بمعناه فالأدلة فيه جد كثيرة، وهي تربوا على الإحصاء والعد؛ لأن العدل والإنصاف يدخل في مسائل الشريعة كلها، لذلك أذكر منها على سبيل المثال:

- روى البخاريُّ ومسلم من حديث أنس بن مالك أن النبيَّ ﷺ قال: (لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسِه). (٢٤)
- وروى مسلمٌ في صحيحه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص – ∆ما – عن النبيِّ ﷺ قال: (فمَنْ أحبَّ أنْ يُزَحْزَحَ عنِ النَّارِ ويُدْخَلَ الجنَّةَ، فلتَأْتِه مَنيَّتُه وهو يُؤمِنُ باللهِ واليوم الآخِرِ، ولْيَأتِ إلى النَّاسِ الَّذِي يُحبُّ أنْ يُؤتَى إليه) (٢٥).
- روى الإمام أحمدُ في مسنده – بإسناد صحيح . من حديث يزيدَ بن أسد القسريِّ ∆ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ : (أَتُحِبُّ الجنَّةَ؟)، قلت: نعم، قال:(فَأَحِبَّ لأخيك مَا تُحِبُّ لنفسِكَ) (٢٦)

ولهذا كان من أقوال العلماء في أهمية الإنصاف:

قول الإمام مالك – : "ما في زماننا شيءٌ أقل من الإنصاف"(٢٧) .. ويقول القرطبي – معلقا على كلام مالك : " هذا في زمن مالك .. فكيف في زماننا اليوم الذي عم فيه الفساد وكثر فيه الطغام "(٢٨)

---

(٢٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢/ ٣٧٢ – ٣٧٥

(٢٣) كنز العمال ١٥/ ٨٢٢ برقم: ٤٣٢٦٧، ٣٤٣٠٠، وقال محققه: أورده السيوطي في الجامع الصغير برقم ١٠١٥ وقال المناوى في الفيض: (١ / ٤٠٤) وفيه ابراهيم بن ناصح عده الذهبي في الضعفاء ، قال أبو نعيم متروك الحديث لهذا رمز له المصنف الامام السيوطي لضعفه. وقال الألباني : **ضعيف . رواه ابن المبارك في " الزهد " (١٨٩ / ١ من الكواكب ٥٧٥ و رقم ٧٤٤ – طبع الهند) و ابن أبي شيبة في " المصنف " (١٣ / ٢٣٠ / ١٦١٨٧) و هناد في " الزهد " (٢ / ٥٠٩ / ١٠٤٨) عن حجاج بن أرطاة عن أبي جعفر مرفوعا . قلت: و هذا إسناد ضعيف ،** أنظر: السلسلة الضعيفة و الموضوعة " ٤ / ١٦٢.

(٢٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه١٣/١، ومسلم في صحيحه ، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات ٣/ ١٢١٩.

(٢٥) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب: الوفاء ببيعة الخلفاء،٦/ ١٨، دار إحياء التراث ، وابن ماجة في سننه كتاب الفتن ١٠٣/٥، ط مكتبة أبو المعاطي.

(٢٦) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ٢٧ /٢١٦ والمستدرك للحاكم ٤/ ١٦٨ ط الهندية

(٢٧) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب: الوفاء ببيعة الخلفاء،٦/ ١٨، دار إحياء التراث ، وابن ماجة في سننه كتاب الفتن ١٠٣/٥، ط مكتبة أبو المعاطي.

(٢٨) (الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت ٦٧١ ، ٢٠٨/١، تفسير سورة البقرة آية ٣٢، دار عالم الكتب .

أي أوغاد الناس .. فزمن الإمام مالك – كان في القرن الثاني الهجري، وزمن القرطبي – رحمه الله – كان في القرن السادس، فما الظن بزماننا هذا ؟.

قلت: وما أهون على المرء أن يدعي الإنصاف وهو أبعد الناس عنه، وذلك حين يكيل بمكيالين، يكتال لنفسه بالمكيال الأوفى، بينما يبخس الناس أشياءهم، ويصبح ويمسي معجباً برأيه، يتيه به زهواً وفخراً، بينما يزدري آراء الناس وأفكارهم وينتقصها، وفي هذا يصدق قول رب العزة والجلال: (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) (٢٩)

وما زال علماؤنا الأجلاء يؤكدون المعنى الحقيقي للإنصاف، بعيدا عن المزايدات الخاطئة والادعاءات الكاذبة،لذا يقول ابنُ حزم:"مَن أراد الإنصافَ، فليتوهَّم نفسَه مكان خَصمه؛ فإنه يلُوح له وجهُ تعسُّفه"(٣٠)

ويقول ابنُ القيّم –: "والإنصافُ أن تكتالَ لمُنازِعِك بالصاع الذي تكتال به لنفسِك؛ فإنَّ في كل شيء وفاءً وتطفيفًا"(٣١).

وسلوك سبيل الجور وعدم العدل بسبب اتباع الهوى يؤديان بصاحبهما إلى الكيل بمكيالين هذا ما يشير إليه ابن القيم– الله بقوله: (وكل أهل نحلة ومقالة يكسون نحلتهم ومقالتهم أحسن ما يقدرون عليه من الألفاظ، ومقالة مخالفيهم أقبح ما يقدرون عليه من الألفاظ، ومن رزقه الله بصيرة فهو يكشف به حقيقة ما تحت تلك الألفاظ من الحق والباطل ولا تغتر باللفظ كما قيل في هذا المعنى:

تقول هذا جنى النحل تمدحه ... وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابير

مدحاً وذماً وما جاوزت وصفهما ... والحق قد يعتريه سوء تعبير(٣٢)

فإذا أردت الاطلاع على كنه المعنى هل هو حق أو باطل فجرده من لباس العبارة، وجرد قلبك عن النفرة والميل، ثم أعط النظر حقه ناظراً بعين الإنصاف، ولا تكن ممن ينظر في مقالة أصحابه ومن يحسن ظنه به نظراً تاماً بكل قلبه، ثم ينظر في مقالة خصومه ومن يسيء ظنه به كنظر الشزر والملاحظة، فالناظر بعين العداوة يرى المحاسن مساوئ ، والناظر بعين المحبة عكسه، وما سلم من هذا إلا من أراد الله كرامته

الرياض تحقيق هشام البخاري ط ١٤٢٤/ ٢٠٠٣هـ ، وجامع بيان العلم وفضله لأبي عبد الله يوسف بن عبد الله القرطبي، ٢٦٣/١. تحقيق فواز زمرلي مؤسسة الريان . دار ابن حزم ط الأولى2003 1424L هـ

(٢٩) سورة المطففين آية: ٢.

(٣٠) انظر: الأخلاق والسِّير، للإمام علي بن أحمد بن سعيد بْنِ حَزْمٍ الأَنْدَلُسِيّ(ت-٤٥٦هـ) (ص: ٨٠) ط:الأولى، ١٤٠٨هـ١٩٨٨، دار المشرق العربي، القاهرة. تحقيق : عادل أبو المعاطي.

(٣١) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ١٨٨/١.

(٣٢) ديوان ابن الرومي ١/ ٢٢٦٩.. ط: الأولى بدون تاريخ . دار العلم للملايين

وارتضاه لقبول الحق وقد قيل:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المساويا[٣٣]

وقال آخر: نظروا بعين عداوة لو أنها ... عين الرضا لاستحسنوا ما استقبحوا[٣٤]

ثم يقول: "وليس من الإنصاف رد العلم الصحيح بمجرد الذوق والحال، وهذا أصل الضلالة ومنه دخل الداخل على كثير من السالكين في تحكيم أذواقهم ومواجيدهم على العلم فكانت فتنة في الأرض وفساد كبير).[٣٥] ومصداق ذلك كله قول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [٣٦]

وأخيرا فقد عقد الإمام أبو يوسف عمر القرطبي فصلاً أسماه: "فصل: في الإنصاف في العلم: قال أبو عمر: من بركة العلم وآدابه الإنصاف فيه، ومن لم ينصف لم يفهم، ولم يتفهم"[٣٧].

(٣٣) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ٣/ ٣٧٦، الطبعة الثانية :دار الفكر - بيروت.

(٣٤) ديوان الشريف الرضي ١/ ٣٩٤.ط الأولى بدون تاريخ.

(٣٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين، للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية) (١/ ٤٨٠)، دار ابن القيم – الدمام. الطبعة الثانية ، ١٤١٤ - ١٩٩٤

(٣٦) الحديث أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك، أنظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١/١٠، والسلسلة الصحيحة ١. ٩/ ٣٥٧ برقم ٣٠٠٠.

(٣٧) جامع بيان العلم وفضله للإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي المالكي تحقيق فواز زمرلي مؤسسة الريان . دار ابن حزم ط الأولى 1424هـ2003 هـ

المبحث الثاني:

علاقة الإنصاف بالعدل والاختلاف

أولاً: علاقة الإنصاف بالعدل: كثيراً ما يستعمل الإنصاف بمعنى العدل ، وقد يعبر بأحدهما عن الآخر، شأن المترادفات دائماً كالإسلام والإيمان لكن تبقى بين المترادفات فروق لغوية ترجع إلى اختلافهما في أصل الكلمة، هذا مع ما بينهما من التقارب الشديد، هذا ما يشير إليه أبو هلال العسكري بقوله: " الإنصاف إعطاء النَصَف، والعدل يكون في ذلك وفي غيره؛ ألا ترى أن السارق إذا قطع قيل إنه عُدل عليه، ولا يقال إنه أُنصف، وأصل الإنصاف: أن تعطيه نصف الشيء وتأخذ نصفه من غير زيادة ولا نقصان، وربما قيل: أطلب منك النَصَف، كما يقال: أطلب منك الإنصاف، ثم استعمل في غير ذلك مما ذكرناه، ويقال أنصف الشيء إذا بلغ نصف نفسه، ونصف غيره إذا بلغ نصفه".(٣٨)

وعن علاقة العموم والخصوص بين المصطلحين يقول الدكتور أحمد الريسوني: "وعلى الرغم من كون العدل والإنصاف من معدن واحد، فالظاهر أن بينهما عموماً وخصوصاً في الاستعمال. فالعدل يستعمل في مواطن التنازع والتخاصم، ويكون ممن له صلاحية الحكم والتصرف في الأمر. وأما الإنصاف فأعم من هذا وأوسع، حتى إن العلماء يتحدثون عن إنصاف العبد مع ربه، وعن إنصافه مع نفسه، وعن إنصاف غيره من نفسه، وعن الإنصاف بين الناس. كما أن استعمال الإنصاف دخل كثيراً في المسائل والخلافات العلمية والفكرية. ولعل الإنصاف يكون أخص من العدل، من حيث يجري استعماله خاصة في مواطن تكون عادة مَظِنَّةً للميل والتحيز. فالفعل أو القول يوصف بالإنصاف إذا وقع حيث كان يُخشى أو يفترض عدمه، كأن يعطي الإنسان الحق لغيره على حساب نفسه، أو ينصف البعيد على القريب، أو ينصف المخالف على الموافق. بينما العدل يكون في هذه الأحوال وفي غيرها. ولعل هذا ما عناه الراغب الأصفهاني بقوله : " والإنصاف من العدل "(٣٩) فالعلاقة بين العدل والإنصاف إذاً علاقة تلازم، أو عموم وخصوص، فكل إنصاف عدل، وليس كل عدل إنصافاً، فربما تحقق العدل بغيره، ولهذا رأينا أئمة التفسير يفسرون العدل بالإنصاف كما يقول القرطبي: في تفسير قول الله تعالى: چ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ چ(٤٠) أي ترجع إلى كتابه.(فإن فاءت) رجعت (فأصلحوا بينهما بالعدل) أي احملوهما على الإنصاف.(٤١)

---

(٣٨) معجم الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ١/٨٠)، ط: الثانية ، دار الفكر . بيروت

(٣٩) مفردات القرآن ١/١٦٠. نشر مكتبة نزار الباز بمكة المكرمة . ط١ . ١٤١٨/١٩٩٧)، و(من معالم الوسطية: الإنصاف عند الاختلاف) مرجع سابق

(٤٠) سورة الحجرات آية ٩:

(٤١) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت : ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني، دار

وفي قوله تعالى: چ ڑ ڑ چ والميزان . في قول مجاهد وقتادة والسدي . الذي وضعه الله للناس في الأرض هو العدل الذي أمر الله به وهو الشريعة. أو هو الميزان الذي يوزن به لينتصف الناس بعضهم من بعض، والعدل يسمى ميزاناً، لأن الميزان آلة الإنصاف والعدل، قال قتادة" اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل لك، وأوف كما تحب أن يوفى لك ، فإن العدل صلاح الناس.[٤٢] وذكر الماوردي أنه القضاء بالحق قال تعالى: چ و ۇ ۇ ى ى ې ې چ[٤٣] وقال أبو سليمان : العدل في لسان العرب الإنصاف.[٤٤]

أخرج البخاري في تاريخه من طريق الكلبي عن أبيه قال : مرّ عليٌّ بن أبي طالب بقوم يتحدثون، فقال : فيم أنتم؟ قالوا: نتذاكر المروءة. فقال: أو ما كفاكم الله عزَّ وجلَّ ذلك في كتابه ، إذ يقول: چ چ چ چ چ چ[٤٥] فالعدل : الإنصاف ، والإحسان: التفضل، فما بقي بعد هذا؟ ".[٤٦] يقول الرازي –: "ذكر في منافع الميزان أن يقوم الناس بالقسط، والقسط والإقساط هو الإنصاف، وهو أن تعطى قسط غيرك كما تأخذ قسط نفسك، والعادل مقسط قال الله تعالى: چ ۇ ۇ ۆ ۆ چ[٤٧].

فالإنصاف بناءً على ما تقدم معناه: أن يعدل المرء فيما بينه وبين الناس فلا يرضى لهم إلا ما يرضاه لنفسه، ويؤدي إليهم من الحقوق ما يحب أن يؤدى إليه، ولا يدفعه حب الخير لنفسه أو لمن يحب أن يجور على حقوق الآخرين فيبخسهم إياها أو ينتقص منها.

ثانياً: علاقة الإنصاف بالاختلاف:

١. الاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو في قوله. والخلاف أعم من «الضد» لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين. ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع: استعير ذلك للمنازعة والمجادلة قال تعالى:چ ئې ئى ئى ئد چ[٤٨] وقال جلَّ شأنه: چ پ پ پ چ[٤٩] وقال عزَّ وجلَّ : چ پ پ پ پ ڀ ڀ چ[٥٠] وقال سبحانه: چ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے

الكتب المصرية – القاهرة.

(٤٢) (تفسير القرطبي ١٥١/١٧).

(٤٣) سورة النساء آية ٥٨.

(٤٤) البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) تحقيق: عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية . بيرت ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

(٤٥) سورة النحل من الآية : ٩٠.

(٤٦) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، ٢٥٥/٤، دار الفكر. بيروت.

(٤٧) سورة الحجرات، الآية: ٩، من: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي، ٢٤٣/١٥، ط: دار الفكر ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، بيروت لبنان.

(٤٨) سورة مريم، من الآية: ٢٧.

(٤٩)سورة هود من الآية ١١٨

ے چ[٥١] إلى غير ذلك من الآيات [٥٢]

فـ «الخلاف والاختلاف يراد بهما مطلق المغايرة في القول أو الرأي أو الحالة او الهيئة أو الموقف"(٥٣).

والاختلاف بين البشر سنة من سنن الله الكونية، كاختلاف الليل والنهار، واختلاف الفصول الأربعة، كذلك اختلاف الناس في اللغات والألوان، والعقول والفهوم، واختلافهم في الحق والباطل، يقول عزَّ شأنه: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ چ[٥٤] ومع أنه حقيقة لا يسع أحد إنكارها إلا أن ذلك يستوجب على الإنسان مراعاة هذا الاختلاف، والحكمة في التعامل معه.

٢. أنواع الاختلاف:

والاختلاف منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم، وحكم كل منها بحسب الدوافع والأسباب المؤدية إليه، وبحسب المآلات والعواقب.

فالأول: اختلاف مشروع أملاه الحق والشرع، ودفع إليه العلم، واقتضاه العقل، كاختلاف أهل الحق مع أصحاب العقائد الكافرة والمشركين وأهل النفاق، وهذا له حكم الوجوب، وكاختلاف التنوع والتعدد في الآراء والاجتهادات وهذا الاختلاف يعد أمراً إيجابياً بنَّاءً إذا لم يصادم نصاً صريحاً، وإذا بقي ضمن الحدود والآداب التي يجب الحرص عليها ومراعاتها، ولكنه إذا جاوز حدوده، ولم تراع آدابه فتحول الى جدال وشقاق كان ظاهرةً سلبيةً سيئة العواقب تحدث شرخاً في الأمة فيتحول الاختلاف حينئذ من أداة بناء إلى معول هدم. وقد ظل هذا النوع من الخلاف المحمود موجوداً في مراحل النهوض الحضاري للأمة الإسلامية، سواءٌ في عصر الأئمة المتبوعين الكبار: أبي حنيفة النعمان ومالك والشافعي وأحمد والثوري والأوزاعي وغيرهم، ولم يحاول أحد منهم أن يحمل الناس على رأيه، أو يتهم أحداً في علمه أو قصده لمخالفته إياه.

بل وجد هذا النوع من الاختلاف في عصر شيوخ الأئمة من التابعين الكبار، وفي عصر الصحابة ∆م والأحرى من ذلك أنه وجد في عصر النبي ﷺ فأقره ولم ينكره .

---

(٥٠) سورة الذاريات، الآية: ٨.

(٥١) سورة آل عمران من الآية: ١٠٥.

(٥٢) المفردات في غريب القرآن ل الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، فصل: (الخاء مع اللام) ٢٢٢/١ وما بعدها ط: مكتبة الأنجلو المصرية لسنة١٩٧٠.

(٥٣) أدب الاختلاف في الإسلام للدكتور جابر فياض علواني ص١٢ الكتاب التاسع لمجلة الأمة القطرية.

(٥٤) سورة هود الآية : ١١٨.

الثاني: اختلاف أملاه الهوى: إذا كان وليد رغبات نفسية لتحقيق مآرب شخصية، أو كانت دوافعه الانتصار للذات أو التظاهر بالفهم أو العلم أو الفقه. وهذا النوع من الخلاف مذموم بكل صوره وأشكاله لأن حظ الهوى فيه غلب الحرص على تحري الحق(٥٥).

٣ـ هل اختلاف الأمة رحمة أم عذاب؟

هذا السؤال نفسه محل اختلاف كبير بين العلماء، ولا بد أن نؤكد بداية أن أُولى أهدف الإسلام تحقيق الوحدة والألفة واجتماع الكلمة، وأنَّ الخلاف الذي يفرّق ويفسد الود والأخوة منهي عنه بنصوص الإسلام الصريحة، خاصة إذا كان الخلاف غير مقبول ولا مستساغ، كالخلاف في الأصول والثوابت، أو كان خلافاً في الفروع مع ثبوت النص قاطعاً صريحاً، أو فيما لا تترتب عليه مصلحة دنيوية ولا أخروية، خاصة حين لا يتقيد أهله بآداب الخلاف التي قررتها الشريعة.

وقد تناول أهل العلم الاختلاف المنهي عنه، هل هو الاختلاف في أصول الدين وفرائضه، أم هو عام في الأصول والفروع معا؟ واختلافهم في هذه المسألة ناشئ عن تغاير الأدلة الواردة في ذم الخلاف تارة، ومدحه تارة أخرى، فمن قائل بأن المذموم منه ما كان في الأصول والفرائض، ومن قائل بأن النهي عام في الأصول والفروع وممن تعرض لهذه المسألة الإمام الألوسي في تفسيره لقول الله تعالى:

چ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ۓ ۓ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ چ[٥٦] قال: (ہ ہ ہ ہ) وهم اليهود والنصارى قاله الحسن والربيع. وأخرج ابن ماجه عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار قيل : يا رسول الله من هم؟ قال : الجماعة»[٥٧] يقول الإمام الألوسي: " والاختلاف المذموم محمول كما قيل على الإختلاف في الأصول دون الفروع، ويؤخذ هذا التخصيص من التشبيه (ہ ہ ھ)، وقيل: إنه شامل للأصول والفروع لما نرى من اختلاف أهل السنة فيها كالماتريدي والأشعري، فالمراد حينئذ بالنهي عن الإختلاف: النهي عما ورد فيه نص من الشارع أو أجمع عليه، وهذا ليس بالبعيد. [٥٨] وبعد عرض الألوسي وجهتي النظر حول الاختلاف في الفروع: هل هو رحمة وسعة

---

(٥٥) انظر: أدب الاختلاف في الإسلام للدكتور جابر فياض علواني ص١٢ الكتاب التاسع لمجلة الأمة القطرية، والإنصاف فيما أثير حوله الخلاف للدكتور: عمر عبد الله كامل، ص٣٩ وما بعدها ط: الأولى ٢٠١٠، دار الوابل الصيب.

(٥٦) سورة آل عمران آية ١٠٥.

(٥٧) الحديث: أخرجه ابن ماجة في سننه، باب: افتراق الأمم ١٢٨/٥، برقم ٣٩٩٢ تحقيق شعيب الأرنؤوط، وأبو داود في سننه باب: شرح السنة٧/ ٦ ، برقم٤٥٦٩ ت شعيب الأنؤوط.، وأخرجه الترمذي برقم/ ٢٦٤٠ وقال حسن صحيح

(٥٨) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، للإمام أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ، ج ٤، ص ٣٧ وما بعدها باختصار ط دار الفكر ١٩٩٤م/١٤١٤هـ

للأمة، أم أنه شر منهي عنه، خلص إلى الرأي الأول ورجحه، راداً على من احتج بضعف الأحاديث التي تصفه بأنه رحمة وسعة ، كحديث: (اختلاف أمتي رحمة) والذي ضعفه أهل العلم. [٥٩]

يقول الألوسي:" والحديث الذي أوردناه قبل وإن رواه الطبراني والبيهقي سند ضعيف عن ابن عباس إلَّا أنه يكفي في هذا الباب الحديث الذي أخرجه الشيخان وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال:(إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْر)[٦٠] ، فالحق الذي لا محيد عنه أن المراد بذلك اختلاف الصحابة – رضي الله تعالى عنهم – ومن شاركهم في الاجتهاد، كالمجتهدين المعتد بهم من علماء الدين الذين ليسوا بمبتدعين، وكون ذلك رحمة لضعفاء الأمة، ومن ليس في درجتهم مما لا ينبغي أن ينتطح في كبشان، ولا يتنازع فيه اثنان فليفهم" [٦١]

قلت: ولست مع الألوسي في هذا الذي جزم به، ولم يقبل فيه الاختلاف بنبرة فيها حدة، والذي أراه . والله أعلم . أنَّ محل النزاع في هذه المسألة ليس واحداً، وأن الجهة بين كلا الرأيين منفكة؛ بمعنى أن النصوص التي تمسك بها القائلون بأن الاختلاف شر منهي عنه ترمي إلى ذلك النوع من الخلاف الذي يؤدي بالأمة إلى الفرقة والتنازع والشقاق، وغالبا ما يعبر عنه ب (اختلاف التضاد) أما الأدلة التي تجعل من الخلاف رحمة وسعة فإنها تختص بالخلاف فيما لا نص فيه، وهو محل اجتهاد لأهل الذكر، ومن قلدهم أو اتبع واحدً منهم في مسألة فلا لوم عليه، ولا إثم، وغالباً ما يطلق عليه (اختلاف التعدد والتنوع).

والخلاصة . في نظري . ما عليه جمهور الأمة من كون الخلاف في الفروع رحمة وسعة للأمة، وأن مجيء النصوص على وجه يحتمل الخلاف هو مراد الله تعالى، وأمر مقصود للمشرع الأعظم جل شأنه، وأن الحق في المسألة الواحدة يمكن أن يتعدد، وقد يكون من رحمة الله ببعض الناس خفاؤه عنه، لما في ظهوره من الشدة عليه، وقد وقع الخلاف بين السابقين من أفضل قرون هذه الأمة من الصحابة والتابعين ولم يوجب افتراقاً، ولذا لم يكن مذموماً ..ولهذا لما صنَّف رجل كتاباً سماه: كتاب الإختلاف قال الإمام

---

(٥٩) يقصد به: حديث: (اختلاف أمتي رحمة). وفيه يقول محب الدين الخطيب: كيف يقول ابن مسعود: الاختلاف شر، والحديث النبوي يقول: "اختلاف أمتي رحمة" ، وللإجابة عن هذا السؤال نقول: إن هذا الحديث لا أصل له، ولقد جهد المحدثون في أن يقفوا له على سند فلم يوفقوا، حتى قال السيوطي في الجامع الصغير: "ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا". وهذا بعيد عندي إذ يلزم منه أنه ضاع على الأمة بعض أحاديثه صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا مما لا يليق بمسلم اعتقاده، ونقل المناوي عن السبكي أنه قال: "وليس بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع"، وأقره الشيخ زكريا الأنصاري في تعليقه على تفسير البيضاوي: ق٢/٩٢.=

=ثم إن معنى هذا الحديث مستنكر عند المحققين من العلماء، فقال العلامة ابن حزم في الإحكام في الأحكام: ٥/٦٤ بعد أن أشار إلى أنه ليس بحديث قال: "وهذا من أفسد قول يكون؛ لأنه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطًا، وهذا ما لا يقوله مسلم؛ لأنه ليس إلا اتفاق أو اختلاف، وليس إلا رحمة أو سخط"، وقال في مكان آخر: "باطل مكذوب".

(٦٠) يقصد بذلك الحديث الذي أخرجه الشيخان وغيرهما أخرجه البخاري في صحيحه، باب: إذا حكم الحاكم فاجتهد، ٩/ ١٠٨،برقم: ٧٣٥٢، تحقيق مصطفى البغا، ومسلم في صحيحه، باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد، ٣/ ١٣٤٢برقم ١٧١٦

(٦١) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، للإمام أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ، ج ٤، ص ٣٧ وما بعدها باختصار ط دار الفكر ١٩٩٤م/١٤١٤هـ

أحمد . رحمه الله . سَمّه كتاب السَّعَة[٦٢] .

في هذا المعنى يقول الدكتور: عبد الله بن بيه "إن الاختلاف بين أهل الحق سائغ وواقع ، وما دام في حدود الشريعة وضوابطها فإنه لا يكون مذموماً، بل يكون ممدوحاً ومصدراً من مصادر الإثراء الفكري، ووسيلة للوصول إلى القرار الصائب، وما مبدأ الشورى الذي قرره الإسلام إلا تشريعاً لهذا الاختلاف الحميد **(وشاورهم في الأمر)** [٦٣] فكم كان النبي ﷺ يستشير أصحابه ويستمع إلى آرائهم، وتختلف وجهات نظرهم في تقرير المضي في حملة بدر، ونتائج المعركة، وكان الاختلاف من الموقف من الأسرى. فعندما استشار في المضي قدماً لنزال المشركين بعد أن تبين كثرة جيوشهم بالنسبة للمسلمين وكان النبي ﷺ ينصت إليهم، وما ليم أحد على رأي أبداه، أو موقف تبناه وما تعصب منهم أحد ولا تحزب، بل كان الحق غايتهم والمصلحة رائدهم.

وقد يقرُّ النبي صلى الله عليه وسلم كلاً من المختلفين على رأيه الخاص، ودون أن يبدي أي اعتراض أو ترجيح، كما في مسألة أمره عليه الصلاة والسلام بصلاة العصر في بني قريظة، فقد صلاها بعضهم بالمدينة، ولم يصلها البعض الآخر إلا وقت صلاة العشاء، ولم يعنف أحداً منهم كما جاء في الصحيحين[٦٤].إنها التربية النبوية للصحابة ليتصرفوا داخل دائرة الشريعة حسب جهدهم، و طبقاً لاجتهادهم.

وبعده عليه الصلاة والسلام كانت بينهم اختلافات حسمت أحيانا كثيرة بالاتفاق كما في اختلافهم حول الخليفة بعده ﷺ .

وكما في اختلافهم حول قتال مانعي الزكاة، وحول جمع القرآن الكريم، ورجوع عمر إلى قول علي في مسألة المنكوحة في العدة، وتارة يبقى الطرفان على موقفهما وهما في غاية الاحترام لبعضهما البعض"[٦٥].

٤ـ لماذا الإنصاف عند الاختلاف؟.

لأنَّ وجود الاختلاف بين الناس . عامتهم وخاصتهم . هو غالبا مظنةٌ للخصومات والحزازات وإفراط المتخالفين بعضهم على بعض، مما يفقدهم الإنصاف، وحتى القدرة على الإنصاف. ويشتد هذا كله، بقدر شدة الاختلاف وحساسيته عند المختلفين، وبقدر ما تسوء أخلاق المتخالفين، وأخلاق أتباعهم وأنصارهم.

---

(٦٢) انظر للتفصيل: موسوعة المفاهيم الإسلامية، لعلي بن نايف الشحود ٢/ ١٩٧، بتصرف واختصار، ط: وزارة الشئون الإسلامية . السعودية ، بدون.

(٦٣) سورة آل عمران من الآية ١٥٩.

(٦٤) يشير بذلك إلى الحديث الذي رواه ابن عمر : أن النبي – صلى الله عليه وسلم – نادى فيهم يوم انصرف عنهم الأحزاب ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بنى قريظة فأبطأ الناس فتخوفوا فوت وقت الصلاة فصلوا وقال آخرون لا نصلى إلا حيث أمرنا رسول الله ﷺ وإن فاتنا الوقت، فما عنف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – واحدا من الفريقين. أخرجه البخاري ١/٣٢١برقم ٩٠٤، ومسلم ١٣٩١/ ٣ برقم١٧٧٠، وابن حبان ٤/٣٢٠برقم ١٤٦٢ انظر: تخريج جامع الأحاديث، للإمام السيوطي مسند عبد الله بن عمر، ٣٦/ ٣٩٣برقم ٣٩٣٤٨.

(٦٥) (أدب الاختلاف في الإسلام) للدكتور: عبد الله بن بيه ص٦ ط: عالم الكتاب ، بدون تاريخ.

وها هنا تشتد الحاجة إلى الإنصاف والمنصفين. وتشتد هذه الحاجة أكثر، حين يتحول الاختلاف إلى عداوة وصراع. ومن هنا احتاج العلماء إلى كثرة التذكير بالحاجة إلى الإنصاف، عند تطرقهم لمواطن الاختلاف بين الطوائف والمذاهب. ويظهر هذا بجلاء لافت للانتباه، في عناوين الكتب التي جمعت بين الإنصاف والاختلاف.(٦٦)

ولهذه العلاقة الوطيدة بين الإنصاف والاختلاف سلباً وإيجابا آثرت أن يكون بحثي هذا حول: (الإنصاف عند الاختلاف) لأنه محك عملي صعب تُختبر فيه مَروءة المرءِ، ومدى قدرته على إنصاف الناس من نفسه.

وبعد أن اتضحت لنا قيمة الإنصاف، وبانت معالمه، وتميز بين نظائره وأشباهه، ندلف إلى بيان السبيل الأقوم، والطريق الأرشد لتحقيق الإنصاف تحت عنوان: (مجالات الإنصاف وركائزه) التي يرتكز عليها.

(٦٦) سبق أن ذكرت هذه الكتب بأسمائها في الدرسات السابقة في المقدمة.

المبحث الثاني:

ركائـــــــز الإنـــــــــصاف ومجالاته

أولاً:ركائز الإنصاف:

١ـ الإخلاص في طلب الحق، ودحر الهوى.

٢ـ نبذ التعصب الأعمى، وإعذار المخالف.

٣ ـ الموضوعية في النقد.

٤ ـ التجرد من المقررات السابقة قبل دراسة النصوص.

٥ـ استجماع الأدلة والتثبت من حجج المخالف.

٦ـ شجاعة الاعتراف بالخطأ ، وقبول الحق متى لاح.

ثانياً: مجالات الإنصاف:

(١) الإنصاف من النفس.
(٢) إنصاف الآخرين.

أولاً: ركائز الإنصاف:

١ـ الإخلاص في طلب الحق ومجانبة الهوى:

أول ما يعين على الإنصاف: الإخلاص في طلب الحق، مع التجرد من الهوى وحظوظ النفس وإيثار الحق لذاته.

وإخلاص القصد وطلب مرضاة الله هو أصل الأصول في الدين كله، لا سيما في المجال العلمي عند التعرض للمنجزات العلمية للآخرين بالنقد والتقويم، فإذا صدق المرء في طلب الحق بنية خالصة أقامه إخلاصه على طريق العدل والإنصاف.

وعلى طالب الحق المتجرد: أن يكون كناشد ضالة . كما يقول الإمام الغزالي . لا يفرق عنده بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عَرَّفه الخطأ، وأظهر له الحق، كما لو أخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر، فإنه كان يشكره ولا يذمه، ويكرمه ويفرح به، فهكذا كانت مشاورات الصحابة . رضي الله عنهم".(٦٧)

وقد ضرب الإمام الشافعي . رحمه الله . في ذلك مثلاً عالياً ، وسنَّ لنا سنة حسنة، بدأ فيها بنفسه فقال: "ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما كلمت أحداً قط إلا ولم أبال بيَّن الله الحق على لساني أو لسانه".(٦٨)

ولهذا "تجد المخلص قد تيقَّن بقلبه أنَّ انتصار الحقِّ وعُلو رايته، أغلى وأعظم من انتصار رأيه، أو إدراك شهواته. وتحقُّق ما يُرضي اللهَ – سبحانه وتعالى – أحلى وأشهى من نيْلِ مآربه وحصول مُراده.

وفي مسائل الخلاف مِن توارُد الأقوال وتضارُب الآراء، ضروبٌ لا يستقرُّ معها الاهتداء إلى مَعين الصواب منها، إلاَّ بضمان الإخلاص في دراستها والترجيح بينها؛ فإن الله يَبتلي عباده بمواضع الخلاف، يَمتحن بها صِدقهم، ويُمَحِّص بها نياتهم؛ وإنَّ وجود النصوص التي يستشكل ظاهرها لَم يقع عفواً، وإنما هو أمرٌ مقصود شرعاً؛ ليبلوَ الله تعالى ما في النفوس، ويَمتحن ما في الصدور، ويُيَسِّر للعلماء أبوابًا من الجهاد العلمي، يَرفعهم الله به درجات"(٦٩)

ومما يَنقض هذه الركيزة: أن يستهدفَ الخائض في الخلاف ومسائله قطْعَ الخَصْم ودَحْر مذهبه؛ فإن ذلك

---

(٦٧) إحياء علوم الدين ، للإمام أبي حامد الغزالي، ١/٤٤، ط: الأولى . دار الريان بالقاهرة، ١٤٠٧ـ ١٩٨٧م

(٦٨) أخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه :أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، المعروف بالخطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ) برقم: ٦٦٣ تحقيق: عادل بن يوسف العزازي – دار ابن الجوزي بالسعودية، سنة ١٤١٧هـ.

(٦٩) الأنوار الكاشفة لما في أضواء على السنة من الزيف والتضليل والمجازفة، لعبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني ص (٢٢٣) ط عالم الكتب . بيروت ١٤٠٢ــ ١٩٨٢ ، وانظر (من ركائز الإنصاف في مباحث الخلاف) ، م س: (الإخلاص في طلب الحق) ص٣.

يُهيّج كوامنَ النفوس، ويَستثير الاندفاع إلى تحقيق الغَلَبة، فيحول دون استبصار الحق ولزوم الإنصاف فيه، وربما نفَخ في النفس بنافخ الكِبر، فتستعلي على النزول والتواضع للحق إذا انجلَى من جهة المخالف. وهنا يجب ألاَّ ننخدِعَ للخلافات المُغلَّفة بالمباحث العلميَّة، وهي في باطنها تطلُّعات ذاتية لمصالح شخصيَّة؛ فقد تتستَّر حظوظ النفس ورغباتها وراء السعي في البحث عن الحق والانتصار له، وتجد الرجل يُشهر الحقَّ ونفسُه تصبو إلى تحصيل جاه أو مالٍ، أو نيل رضا قريب أو حبيبٍ"(٧٠) وتلك النية المغشوشة، وذاك العمل المخلَّط بين ما لله وما للنفس لا يقبله الله، ولا ينفع صاحبه، بل ربما ظهر هذا في فلتات لسانه، وحركات جوارحه عياذاً بالله.

ولا يحصل الإخلاص إلا بالتجرد من حظ النفس والهوى:

وليس أخطر على الإخلاص من اتباع الهوى، وهو أكبر صاد عن العدل والإنصاف، وأكبر حامل على الظلم والإجحاف. وما سمي الهوى بذلك إلا لأنه يهوي بصاحبه إلى دركات الشرك الخفي، والاحتيال في التأويل الظالم الجائر، ثمَّ يهوي بصاحبه في نار جهنم والعياذ بالله.

ولأنَّ الهوى والحق نقيضان لا يجتمعان فقد حذر الله منه أنبيائه . وهم أحب الخلق إليه . فقال: (**يا** چ ئ ئبِ ئى ئى ئد ى ي ي □ چ[٧١]

كل ذلك معلوم للكافَّة، لكن إدراك تسلل الهوى إلى العمل والقصد مما لا يقدر عليه إلا المخلصون الربانيون.

ولخطر الهوى على الدين والعمل فقد لفت رسول الله الإنتباه إلى خطره، روى أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم:(ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع)[٧٢] .

وقد يزعم المرءُ أنه مخلص في قوله أو نصحه أو حكمه، وأنه لا يبتغي بذلك إلا الحق وحده، لكن الحقيقة التي يخفيها ولا يكاد يبديها أنه لا يبتغي من وراء ذلك إلا الانتصار لرأيه، وتحقيق ما أضمر في نفسه، وأشنع من ذلك أن يعمد إلى تأويل النصوص، وتحريف الكلم، والتماس الحجج والأدلة ليجعل الحق باطلاً، والباطل حقا.

لكن "المؤمن الصادق في تحرِّي الإنصاف، تجده على وجلٍ دائمٍ، فهو يتخوَّف أن يَحيف في حُكم، أو

---

(٧٠) من ركائز الإنصاف في مباحث الخلاف للشيخ حمد بن ناصر آل معمر ص٤ ، وانظر: الاعتصام للإمام الشاطبي ١/ ١٠٩ . ١١٠.

(٧١) سورة ص، آية / ٢٦.

(٧٢) أخرجه الطبرا نى (١٠٣/٨ ، رقم ٧٥٠١) ، قال الهيثمى (١٨٨/١) : فيه الحسن بن دينار ، وهو متروك الحديث . وأبو نعيم فى الحلية (١١٨/٦).

يجور في مسألة انتصارًا لهواه؛ قال تعالى: چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ چ[٧٣] فهو وإن كان في نفس الأمر على جادة العدل، لكنه لا يَستيقن ذلك من نفسه، بل يَستحضر أنَّ المقام مقامُ توقيعٍ عن ربِّ العالمين . سبحانه وتعالى – وأنَّ نفسه التي بين جَنبيه أمَّارة بالسوء، وهذا ما يوقِظ فيه شدَّة التحرُّز من أهواء نفسه، لأنَّ اتِّباع هواها يصدُّ عن سُنن العدل، ويدعو إلى الحَيْف، قال – سبحانه وتعالى –: چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ چ.[٧٤] قال السعدي: "أي: فلا تتَّبعوا شهوات أنفسكم المعارِضة للحق؛ فإنكم إن اتَّبَعتموها، عدَلتم عن الصواب، ولَم توفَّقوا للعدل؛ فإن الهوى إمَّا أن يعمي بصيرة صاحبه، حتى يرى الحقَّ باطلاً والباطل حقًّا، وإمَّا أن يعرفَ الحقَّ ويَتركه لأجْل هواه، فمَن سَلِم من هوى نفسه، وُفِّق للحق، وهُدِي إلى صراط مستقيم". [٧٥]

وللإنسان مع هواه ثلاثة أحوال:

الأولى: أن يغلبه الهوى فيملكه كما قال تعالى: چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ چالآية.[٧٦]

والثانية: أن يغالبه فيقهره مرة ، ويقهر مرة وإياه قصد بمدح المجاهدين: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٿ ٿ ٿ ٿ چ الآية.[٧٧]

والثالثة: أن يغلب هواه ككل الأنبياء وبعض صفوة الأولياء، وإليه قصد بقوله تعالى: چ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ[٧٨] وبما أن الخلق ليسوا كلهم أنبياء ولا أولياء لذا وجب على كل مسلم الحذر من هوى نفسه التي بين جنبيه، ليكون هواه تبعا لما جاء به رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ولا يخرج عن دائرة العدل والإنصاف، ويقع في درك الجور والظلم.

٢ـ نبذ التعصب الأعمى، وإعذار المخالف:

من أقوى موانع العدل والإنصاف: تعصب المرء لرأيه أو لما يحب ومن يحب؛ بله من موجبات الظلم والإجحاف، وهذا بلا شك يتعارض مع ما ورثناه من مبادئ أخلاقية، وما أمرنا به شرعاً من وجوب احترام

---

(٧٣) المؤمنون، الآية: ٦٠.

(٧٤) النساء، الآية: ١٣٥، وانظر: (من ركائز الإنصاف في مباحث الخلاف) م س، ص ٦.

(٧٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ) ١٧١/١.ط الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م ، المكتبة الإسلامية.

(٧٦) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٧٧) سورة العنكبوت آية: ٦٩.

(٧٨) سورة النازعات، الآية : ٤٠، ٤١. وانظر : الذريعة إلى مكارم الشريعة لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ص: (١٠٤ ١٠٤، ١٠٥بتصرف، ط: الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ، تحقيق د أبو اليزيد العجمي ، دار الصحوة ودار الوفاء بالقاهرة.

الرأي المخالف، طالما أن الدليل غير قطعي ولا صريح في دلالته على حكم بعينه، ومن هنا تختلف الفهوم وتتعدد، ويمكن أن يتعدد الحق في المسألة الواحدة.

وليس أدل على ذلك من فعل النبي ﷺ عندما أمر أصحابه بقوله: (لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة)(٧٩) ففهم بعضهم من قوله (ظاهره): أنه لا صلاة للعصر إلا في بني قريظة، وفهم البعض الآخر من قوله (فحواه): أنه يستحثهم على سرعة الخروج وعدم الإبطاء، فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بما فعله كلا الفريقين لم ينكر على أي منها؛ ليعلِّم أصحابه والمسلمين من بعده أن تتسع صدورهم لكل الاجتهادات والآراء المختلفة طالما أنها لم تخرج عن إطار الشريعة وفحوى النص.

إعذار المخالف المجتهد: ومن القواعد التي يقوم عليها مجتمع العدالة والإنصاف: إحسان الظن بالمخالف المجتهد، وإعذاره إن بدا منه خلاف ما ينبغي تحققاً بقوله تعالى: چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ چ [٨٠] الآية وهذا الأمر الإلهي يقتضي عدم اتهام النوايا، أو التشكيك فيها من غير مبرر شرعي، ودون قرينة أو دليل يدين صاحبه، فنحن (لنا الظاهر والله يتولى السرائر). [٨١] وقد حذر الرسول الكريم ﷺ من سوء الظن في مثل تلك الحال فقال: **(اتقوا الظن فإنه أكذب الحديث)**[٨٢] وعليه فيجب حسن الظن بالآخرين، وحمل كلامهم على أحسن الوجوه، فإذا كانت كلمة الغير تحتمل معنى حسنا ومعاني أخرى سيئة فيحسن به أن يحملها على الوجه الحسن، وليس أحسن في هذا من قول سعيد بن المسيب : "كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ أن ضع أمر أخيك على أحسنه مالم يأتك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملا)[٨٣] وفي رواية أخرى له . أيضاً . قال: وضع عمر بن الخطاب رضى الله عنه للناس ثمانية عشر كلمة حكم كلها ، قال : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملا"..الخ (٨٤)

---

(٧٩) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه باب: صلاة الطالب والمطلوب راكباً وإيماءً ١٥/٢ برقم: ٩٤٥، دار طوق النجاة، والمعجم الكبير للطبراني، باب: كعب بن مالك الأنصاري ١٩/ ٧٩ ط الثانية ١٤٠٤هـ١٩٨٣م.

(٨٠) الحجرات آية: ١٢

(٨١) تلك قاعدة شرعية اتفق عليها العلماء، وليست حديثا، أشار إليها أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي (ت: ٧٦٣هـ) في الآداب الشرعية والمنح المرعية ١/ ٨٢ تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط الثانية ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

(٨٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، باب: من انتظر حتى تدفن، ٥/٤برقم:٢٧٤٩، ومسلم في صحيحه، باب: تحريم الظن والتجسس والتنافس٤١٣/١٦برقم : ٦٧٠١، والجامع الصحيح للترمذي، باب: ما جاء في ظن السوء، ٧/ ٤٩٢برقم: ٢١١٨.

(٨٣) أخرجه البيهقى في شعب الايمان ١٠٣/٢

(٨٤) المرجع السابق ١٠٣/٢،

وفي المسائل الاجتهادية تتبايَن وجهات النظر في تفسير النصوص ومقتضياتها، وتختلف حظوظ العقول من معاني الأدلة ودلالاتها، ولا يَملك أحد الكلمة الأخيرة التي تَحسم جميع الاختلافات، بل كل باحثٍ يجتهد في مثل هذه المسائل، لا يعدو أن يكون ترجيحه لأحد الأقوال فيها، إلاَّ نتيجة لإعمال فكره في النصوص والآثار، وتقليب نظره في أدلة المذاهب والأقوال، مستندًا على كلام أهل العلم وفهومهم، وليس في واحدٍ منها ما يُضفي القداسة أو العصمة على اختياره، بل ستَظَل اختياراته شيئًا يَقبل الردَّ والنقد، ولا يُستثنى أحد من قول الإمام مالك – رحمه الله –: "كلٌّ يؤخَذ من قوله ويُرَد، إلاَّ صاحب هذا القبر"[٨٥] ولهذا؛ فلا مسوِّغ لمحاولة فرض آرائنا، أو إلغاء اجتهادات الآخرين، بل إن هذا يُعَدُّ نوعًا من "الاستبداد العلمي"، الذي لا تُسوِّغه شريعتنا التي تأسَّست على مبادئ القسط في الأحكام، والعدل بين الناس، كما أنه تعنُّت منحرف عن سبيل أئمَّة الهدى، الذين عَقَلوا أحكام دين الله تعالى، وَفَقهوا مقاصد شرعه، وكانوا لا يُكرهون غيرهم على مذاهبهم، ولَم يُصادروا اجتهادات مخالفيهم، ما دام الاختلاف منحصرًا في مسائل الاجتهاد، التي لَم يَثبت فيها إجماع صحيح، أو نصٌّ صريح. يوضِّح هذا المنهجَ جُملةٌ من الآثار والأقوال التي ورَدت عنهم، فمنها ما جاء عن الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – أنه قال: "مَن أفتى الناس ليس ينبغي أن يحملَ الناس على مذهبه، ويُشدِّد عليهم"[٨٦]. وقال سفيان الثوري – رحمه الله – أيضًا: "ما اختَلَف فيه الفقهاء، فلا أنهى أحدًا من إخواني أن يأخذَ به"[٨٧]. ولهذا لَمَّا استشار الرشيد مالكًا أن يحملَ الناس على "مُوَطَّئه" في مثل هذه المسائل، منَعه من ذلك، وقال: إنَّ أصحاب رسول الله ﷺ تفرَّقوا في الأمصار، وقد أخَذ كلُّ قومٍ من العلم ما بلَغهم"[٨٨].

وقد تواطأت كلمات المحققين من أهل العلم على إعذار المخالف المجتهد؛ حتى استقر في عرفهم العلمي: "أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد"[٨٩]، لأن المسائل الاجتهادية الظنيَّة تأبَى طبيعتُها الإجماعَ عليها. والحقيقة أكبر من أن يُحيط بها أحدنا من جميع جوانبها وحده، أو تصدق دائمًا جميع أحكامه عليها؛ فإن "دَرْك الصواب في جميع أعيان الأحكام؛ إمَّا مُتعذِّرٌ، أو متعسِّرٌ"[٩٠] . وعليه؛ فإنَّ من تمام العلم ومقتضى

(٨٥) المقاصد الحسنة المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام السَّخاوي، عبد الرحمن

دار الكتاب العربي، سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، (٨/٩٣) والبداية والنهاية لابن كثير(١٤/ ١٦٠) .

(٨٦) انظر الآداب الشرعية لابن مفلح (١/١٨٦).و(من ركائز الإنصاف في مباحث الخلاف) م. س ص ٦.

(٨٧) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، برقم: (٧٥٤).

(٨٨) جامع بيان العلم وفضله ،لابن عبد البر، (١/٢٦٣).

(٨٩) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بم أيوب المعروف بأبن القيم الجوزية (المتوفي:٧٥١هـ) ، (٣/ ٢٨٨) دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ط: الأولى ١٤٢٣هـ

(٩٠) رفع الملام عن الأئمة الأعلام لإمام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية(٦٦١-٧٢٨هـ) ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء السعودية١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

العدل، ألاَّ نَطرح المسائل الظنيَّة على سبيل القطع واليقين . ما دام أنَّ دلالة الأدلة فيها محلٌّ اجتهاد ونظر. وأعتقد أنه بهذه اللغة المُنصفة يُمكننا أن نعزِّز فُرَص الرجوع إلى الحق، ونرفع مستوى الأريحيَّة في استقبال النقد والحوار مع المخالفين؛ مما ينعكس على القلوب بالأُلفة والتعاطف، والتكاتُف على البر والتقوى[٩١] .

٣ـ الموضوعية في النقد:

وثالث تلك الركائز: الموضوعية فى الحوار والنقد ، وفي البحث العلمي، وعند التعرض لمنجزات الأفراد والاتجاهات والعقائد والأحزاب والدول والتاريخ. وأعنى به: عدم التأثر في الحكم على أحد بحب أو بغض، كما تعني . مع ذلك . ألا يوجه نقده للأشخاص بل للأفكار والمبادئ.

وقيمة الموضوعية: ينبغي أن تكون أساس كل حوار هادف بنَّاء، على مستوى الأفراد أو على مستوى الدول، فليس من الإنصاف أن نتحاور مع غيرنا وتحكمنا أفكار جامدة، وإن النظرة الأحادية لمن أخطر الأمور في دنيا الحوار، قالها الإمام الشافعي قديمًا: "رأيي صوابٌ يحتمل الخطأ ورأيُ غيري خطأ يحتمل الصواب"[٩٢]، وما ذاك إلا تطبيق راشد لقوله تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ[٩٣] إن هذه القاعدة المنهجية لمن أخطر الأمور في الحوار الحضاري. كما أن البعد عن الموضوعية في عرض حجج الخصوم، والاستناد إلى قواعد ظنية من أهم أسباب الوقوع في غر الإنصاف، والتمسك بذيل الاعتساف[٩٤]

والموضوعية تقتضي:

١. ممن يتناول آراء المخالفين بالنقد أن يجعل نقده موجهاً للآراء والأفكار لا لأصحابها، فلا ينبغي (شخصنة الحوار أو الخلاف)، كأن يقال: أنا أو أنت أو هم ونحن، مثل ذلك الأدب الراقي يبدو جلياً في فعل النبي ﷺ ، خاصة عندما كان يتعرض لما يقع من أخطاء فردية من آحاد المسلمين، فكثيراً ما كان

---

(٩١) من مقال: (ركائز الإنصاف في مباحث الخلاف) للشيخ حمد بن ناصر بن عثمان م.س ص: ٨.

(٩٢) هذه المقولة اجتمعت عليها ألسنة الفقهاء جميعاً، بل الأبلغ منها في التواضع والإخلاص في طلب الحق ما قاله أبو حنيفة النعمان – وهو ممن أكثر من الرأي، وقدَّر مسائل واستنبط حكمها:(وهذا أحسن ما وصلنا إليه، فمن وجد خيرا منه فليأخذ به) ويقول أيضاً: وقد سئل عما استنبطه من الفقه: أهذا هو الحق الذي لا ريب فيه؟ فيجيب: لا أدري لعله الباطل الذي لا شك فيه). انظر موسوعة الفقه الإسلامي المصرية ٢/١، والفتاوى الفقهية الكبرى باب القضاء ٣١٣/٤

(٩٣) سورة سبأ الآية: (٢٤).

(٩٤) يراجع في هذا كتاب: (أدب الطلب) للإمام محمد على الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) (١٤١/١ وما بعدها، تحقيق عبد الله يحيى السريحي

الناشر دار ابن حزم لسنة (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) . لبنان / بيروت.

يقول: **(ما بال أقوام** يقولون كذا.. أو يفعلون كذا ..)[٩٥].

٢. وألا ينشر سيئات المخالف، ويضرب صفحاً عن محاسنه ومزاياه، بل عليه أن يزن بميزان العدل، فإن لم يكن بد من ذكر السيئة لضرورة أو مصلحة شرعية معتبرة فليشفعها بذكر حسنات المخالف، وهذا من باب:چژ ژ ڑ ڑچ[٩٦] ، وهذا هو المنهج الذي سار عليه علماؤنا الأماجد.[٩٧]

٤ـ التجرد من الأحكام والمقررات السابقة قبل دراسة النصوص:

ومما يعين على تحقيق الإنصاف وعدم الإجحاف أن يتجرد الناقد أو الباحث من التأثر بالأحكام المبدئية، والقناعات السابقة على دراسة النصوص، يستوي في هذا الحكم على الأشخاص أو الهيئات والجماعات، أو في ترجيح اجتهاد على اجتهاد آخر، أو الحكم بتصحيح أو تضعيف أو قبول أو رد.

والباحث قد لا تعوزه الأدلة لكثرتها لكنه قد يتخير منها ما ينصر مذهبه، وما يعضض رأيه أو رأي شيخه، ثم يميل على أدلة المخالفين فلا يتخير منها إلا أضعفها حجة، ويضرب صفحاً عن قويها فضلاً عن أقواها، وهذا المنهج الانتقائي يمثل خطراً على العلم والمعرفة، بل يعد . في نظري . ضرباً من ضروب التحريف المعنوي للنصوص والأدلة الشرعيَّة، ولهذا "فليس من الإنصاف في شيء أن نقرأ الأدلة والنصوص الشرعية قراءةَ استنصار، فنتكلَّف تنزيلَ ظواهر دلالاتها على نحو ينصر آراءنا الخاصة، مما قد استَحْسَنَّا قَبوله قبل تأمُّل الدليل؛ لأنها قراءة فاسدة، نَحرِم بها أنفسَنا الانتفاع بنور الأدلة الشرعيَّة وهدايتها إلى مراد الله – عز وجل – بل الواجب أن نقرأ الأدلة قراءةَ استبصارٍ، فنُسلم القياد لمقتضى النص، وَفْق المنهج العلمي للاستدلال؛ حتى ننتهي إلى ما تصير إليه الحجة الشرعيَّة، غير مُكترثين بالتخلي عن أيِّ رأي أو مذهبٍ أنسْنا إليه في غياب الدليل؛ قال ابن الجوزي – رحمه الله –: "إنما ينبغي للإنسان أن يَتبع الدليل، لا أن يَتبعَ طريقًا ويتطلَّب دليلها". [٩٨]

وقد تولَّى الإمام الشاطبي – على طريقته في التأصيل – كشْفَ سبيل أخذ الأدلة، وميَّز بين مسالك الاستهداء بالنصوص الشرعيَّة؛ قال رحمه‌الله : "فاعلم أن أَخْذَ الأدلة على الأحكام يقع في الوجود على وجهين: أحدهما: أن يؤخَذ الدليل مأخذ الافتقار، واقتباس ما تضمَّنه من الحكم؛ ليُعرضَ عليه النازلة المفروضة؛ لتقعَ في الوجود على وِفاق ما أعطى الدليلُ من الحكم، أمَّا قبل وقوعها، فبأن تُوقَعَ على وَفْقه،

---

(٩٥) مثل حديث: (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا) صحيح مسلم، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه٤/١٢٩دار الجيل . بيروت. وحديث: (ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم) صحيح البخاري، باب: رفع البصر إلى السماء في الصلاة ٣/٢٦٦، برقم: (٩٢).

(٩٦) سورة الأعراف الآية ٨٥، وهود الآية ٨٥، والشعراء الآية ١٨٣.

(٩٧) سيأتي تفصيل هذا في المبحث الثامن: نماذج من (إنصاف العلماء بعضهم بعضا).

(٩٨) صيد الخاطر لابن الجوزي (١/ ٢٩). ط دار الفكر ، بدون تاريخ.

وأمَّا بعد وقوعها، فليَتلافى الأمر، ويَستدرك الخطأ الواقع فيها، بحيث يغلب على الظنِّ أو يقطع بأنَّ ذلك قصد الشارع، وهذا الوجه هو شأن اقتباس السلف الصالح الأحكامَ من الأدلة.

والثاني: أن يؤخَذ مأخذ الاستظهار على صحة غرضه في النازلة العارضة، أن يظهر في بادئ الرأي موافقةُ ذلك الغرض للدليل، من غير تَحرٍّ لقصد الشارع، بل المقصود منه تنزيل الدليل على وَفْق غرضه، وهذا الوجه هو شأن اقتباس الزائغين الأحكامَ من الأدلة. ويظهر هذا المعنى من الآية الكريمة: چ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ چ[٩٩]، فليس مقصودهم الاقتباسَ منها، وإنما مرادهم الفتنة بها بهواهم؛ إذ هو السابق المُعتبر، وأَخْذ الأدلة فيه بالتَّبع؛ لتكون لهم حُجةً في زَيغهم، چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ چليس لهم هوًى يُقدِّمونه على أحكام الأدلة؛ فلذلك: چ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ چ[١٠٠]، ويقولون: چ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح چ[١٠١]، فيتبرَّؤون إلى الله مما ارتكبَه أولئك الزائغون، فلذلك صار أهلُ الوجه الأول مُحَكِّمين للدليل على أهوائهم، وهو أصل الشريعة؛ لأنها إنما جاءَت لتُخرج المكلَّف عن هواه؛ حتى يكون عبدًا لله، وأهل الوجه الثاني يُحَكِّمون أهواءَهم على الأدلة؛ حتى تكون الأدلة في أخْذهم لها تبعًا"؛ انتهى كلامه – رحمه الله [١٠٢]. لذلك كله يجب أن نؤخر قناعاتنا وأحكامنا السابقة، ونحتكم إلى الأدلة والنصوص، ولا نتعسف في تطويع النصوص لتوافق أهوائنا، ونستنصر بها على الخصوم أو المخالفين لنا في الرأي، لنصل بهذا المراء والجدال العقيم إلى تشويه حقيقة الدين، وتغيير معالم الشريعة الغراء.

٥ ـ استجماع الأدلة والتثبت من حجج المخالف.

ومما يعين على الإنصاف الذي جاءت به شريعة الإسلام، وما تقتضيه أمانة البحث العلمي: استجماع الأدلة والتثبت من حجج المخالف، ومثل هذا يقتضي:

(أ) أنَّ على الباحث قبل الحكم على الأشخاص أو الهيئات وتكوين الرأي حول الأفكار والمسائل المختلف فيها – أن يستوفي الأدلة والمذاهب بالدراسة والتحرير؛ نصفةً للخَصم، وتحقيقًا للأمانة العلمية ، التي توجب على مثله جمع حجج الخصوم كاملة مستوفية، وعدم إظهار بعضها وإخفاء البعض الآخر يقول ابن تيميَّة – رحمه الله تعالى –: "أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تُستوعَبَ الأقوال في ذلك المقام، وأن يُنبَّه على الصحيح منها، ويُبطَل الباطل، فأمَّا مَن حكى خلافًا في مسألة، ولَم يستوعب أقوال الناس فيها، فهو ناقص؛ إذ قد يكون الصواب في الذي ترَكه" [١٠٣] وعن عثمان بن عطاء عن أبيه، قال:

---

(٩٩) سورة آل عمران، الآية: (٧).

(١٠٠) آل عمران: (٧).

(١٠١) آل عمران: (٨).

(١٠٢) الموافقات للإمام الشاطبي، (٣/ ٧٠، ٧١) ط الثانية ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، دار المعرفة ـ بيروت.

(١٠٣) مقدمة في التفسير لابن تيمية، (٦٤) ط: دار الفكر ١٤٠٤هـ.

"لا ينبغي لأحدٍ أن يفتي الناس، حتى يكون عالِمًا باختلاف الناس؛ فإن لَم يكن كذلك، رَدَّ من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه" [١٠٤]. فالإنصاف يجعل صاحبه يستقصي جهده في جمع الأدلة والبراهين، بغية الوصول إلى الحقيقة، حتى وإن خالفت مذهبه واختياره العلمي، متحلياً بالأمانة العملية في عرض أدلة المخالفين بكل ما لها وعليها دون انتقاص أو تحقير من شأنها، مستحضرا بقلبه . قبل كل شيء . رقابة الله عليه وعلى ما يخطه بيمينه، مهتدياً بتوجيه النبي – صلى الله عليه وسلم . في قوله: **(قل الحقَّ ولو على نفسك)** [١٠٥]

(ب)التثبت والتبين: وعلى الباحث أن يستوثق من نسبة الأقوال والآراء إلى قائليها من مصادرها الصحيحة المعتمدة، هذا التثبت الذي لا مناص عنه لكل كاتب أو باحث أو داعية أو قاض أو مفت، فالإسلام يستوعب المناهج العلمية التي عرفتها البشرية حديثاً . في دقة النقل وتوثيق الأخبار، ويضيف إليها استقامة القلب ومراقبة الله تعالى، فـ "التثبت من كل خبرٍ ومن كل ظاهرة، ومن كل حركةٍ قبل الحكم عليها؛ هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق، ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافةِ في عالم العقيدة، ولم يبق مجالٌ للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء والتأمل، ولم يبق مجال للأحكام السطحية، والفروض الوهميةِ في عالم البحوث والتجارب والعلوم.

والأمانة العلمية التي يشيدُ بها الناس في العصر الحديث، ليست سوى طرفٍ من الأمانة العقلية القلبية، التي يعلنُ القرآن تبعتها الكبرى، ويجعلُ الإنسان مسئولاً عن سمعه وبصره وفؤاده، أمام الخالق جل جلاله يقول تعالى: چ ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ی □ چ[١٠٦] إنَّها أمانةُ الجوارح والحواس والعقل والقلب، أمانةٌ يرتعشُ الوجدان لدقتها وجسامتها، كلَّما نطق اللسان بكلمة، وكلما روى الإنسان رواية، وكلَّما أصدر حكمًا على شخصٍ أو أمرٍ أو حادثة.(ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ) ولا تَتَّبع ما لم تعلمهُ علم اليقين، ومالم تتثبت من صحته: من قولٍ يقال وروايةٍ تروى، ومن ظاهرةٍ تُفسر، أو واقعةٍ تُعلل. ومن حكمٍ شرعي، أو قضيةٍ اعتقادية. وفي الحديث: (إياكم والظن فإنه أكذب الحديث) [١٠٧] وفي سنن أبي داود: (بئس مطية الرجل: زعموا).[١٠٨] ذلك المنهج الذي يجعل القلب قبل العقل والجوارح يتحرج في خواطره وتصوراته، وفي مشاعرهِ وأحكامه. وإن عدم الالتزام بهذا المنهج القرآني

---

(١٠٤) أخرجه ابن عبد البر في: (جامع بيان العلم وأهله): (٨١٦/٢) برقم: (١٥٢٤).

(١٠٥) كنز العمال، ٣٥٩/٣، برقم: ٤٤٢٩٨، وجامع الأحاديث للسيوطي، حرف الصاد ٤٧٨/١٣، برقم: ١٣٥٧٨.

(١٠٦) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(١٠٧) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ٥/ ٢٢٥٣، برقم(٤٨٤٩) دار ابن كثير اليمامة . بيروت ط: الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ، ومسلم في صحيحه، باب: تحريم الظن والتجسس والتنافس، ٤/ ١٩٨٥برقم: (٢٥٦٣) دار إحياء التراث العربي.

(١٠٨) سنن أبي داود (سليمان بن الأشعث السجستاني) ، باب: (في قول الرجل زعموا) ، ٧١٢/٢ ، برقم (٤٩٧٢)

والتفريط فيه لمن أعظم أسباب الفرقة والعداوة والبغضاء بين الناس، فكم من أرحام قطعت، وحروب قامت، وفتن أججت كان أعظم أسبابها عدم التثبت في نقل الأخبار، بل الاعتماد على أخبار وتهم وظنون باطلة".[١٠٩]

٦ ـ شجاعة الاعتراف بالخطأ و قبول الحق:

الاعتراف بالخطأ فضيلة، والرجوع إلى الحق فريضة، وليس المفترض في الإنسان أن يكون معصوماً، بل كل إنسان عرضة للخطأ و الصواب، وقد يأتي من الأقوال والأفعال في يوم ما يستنكره ويستغرب منه في غد، باستثناء من عصمهم الله من الأنبياء والرسل، وليست مشكلة الإنسان في أن يخطيء، بل المشكلة في عدم استفادته من الخطأ، ليتلافاه فلا يقع فيه مرة من بعد مرة. واعتراف الإنسان بخطئه خطوة إيجابية نحو الرشد والكمال، ولا ينقص من قدر الرجل أن يعترف بخطئه، بل هو من شيم الكرام، وأصحاب النفوس الكبار. فقد اعترف الأنبياء لربهم بأخطائهم، راجين منه العفو والغفران فقال آدم . عليه السلام: چ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀچ[١١٠] واعترف سيدنا موسى بخطئه فقال: چ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گچ[١١١] وقد علمنا رسول الله ﷺ أن من دعاء سيد الاستغفار أن نقول: **(..أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)** [١١٢] وإن آية إخلاص المرء لربه، وعلامة تجرده للحق الذي يطلبه، أن تكون عنده المروءَة والشجاعة في التوقف عن الخطأ، والرجوع عنه إلى الحق في أي وقت، وعلى أية حال. يقول ابن القَيِّم – رحمه الله –: "فعلى المسلم أن يتَّبع هَدْيَ النبي ﷺ في قَبول الحق ممن جاء به من وَلِيٍّ وعدو، وحبيب وبغيضٍ، وبَرٍّ وفاجر، ويَرُدَّ الباطل على مَن قاله كائنًا مَن كان"[١١٣] .

وقال عمر بن الخطاب في رسالته المشهورة إلى أبي موسى الأشعري – رضي الله عنهما –: "ولا يَمنعنَّك قضاءٌ قضيتَ فيه اليوم، فراجَعتَ فيه رأيك، فهُدِيت فيه لرُشدك، أن تراجِعَ فيه الحقَّ؛ فإن الحقَّ قديمٌ، لا يُبطله شيء، ومراجعة الحقِّ خيرٌ من التمادي في الباطل" [١١٤] .

---

(١٠٩) انظر : سعيد حوى : (الأساس في تفسير القرآن) ٦/ ٣٠٦٨ وما بعدها، ط: الخامسة ١٩٩٩م ١٤١٩ هـ، دار السلام ـ القاهرة، و(في ظلال القرآن) للأستاذ سيد قطب ٤/ ٢٢٢٧، باختصار وتصرف ، ط العاشرة ١٤٠٢هـ – ١٩٨٣م دار الشروق ،

(١١٠) الأعراف آية (٢٣) .

(١١١) سورة القصص، آية (١٦).

(١١٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب: (ما يقول إذا أصبح) ٥/ ٢٣٣٠ برقم: (٥٩٤٧) ط: دار ابن كثير ، وأبو داود في ٤/ ١٦٨، برقم: (٥٠٧٠) وسنن النسائي الكبرى، باب: سيد الاستغفار، ٦/ ٨، ط دار الكتب برقم: (٩٨٤٧).

(١١٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين م. س(١٠٤/١).

(١١٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين(٨٦/١).

وأكرر ما استشهدت به سلفاً من مقالة أبي حامد الغزالي . رحمه الله . : " أن طالب الحق كناشد ضالَّة لا يُفرِّق بين أن تَظهر الضالَّة على يده أو على يد مَن يُعاونه، ويرى رفيقَه مُعينًا لا خَصمًا، ويَشكره إذا عرَّفه الخطأ وأظهَر له الحقَّ، كما لو أخَذ طريقًا في طلب ضالَّته، فنبَّهه صاحبه على ضالَّته في طريق آخرَ، فإنه كان يشكره ولا يَذمُّه، ويُكرمه ويَفرح به، فهكذا كانت مشاورات الصحابة – رضي الله عنهم"؛ ا.هـ [١١٥] "والمؤمن تُرضيه كلمة الحق له وعليه، وتُغضبه كلمة الباطل له وعليه؛ لأن الله تعالى يحبُّ الحقَّ والصدق والعدل، ويُبغض الكذب والظلم". [١١٦]

• ومن بديع ما يُروى عن سلفنا الصالح من آداب الخلاف السامية، وأخلاق الحوار الراقية – ما رواه الحسين الكرابيسي عن الإمام الشافعي – رحمه الله – أنه كان يقول: "ما كلَّمت أحدًا قطُّ، إلاَّ أحْبَبت أن يوفَّق ويُسَدَّد ويُعان، ويكون عليه رعاية من الله وحِفظ، وما كلَّمت أحدًا قطُّ إلاَّ ولَم أُبالِ: بيَّن الله الحقَّ على لساني أو لسانه" [١١٧] . وجاء عن الإمام حاتم الأصم – رحمه الله – أنه قال: "معي ثلاث خصال أظهرُ بها على خَصمي"، قالوا: وما هي؟ قال: "أفرح إذا أصاب خَصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحْفَظ نفسي لا تتجاهَل عليه". فلما بلَغ ذلك الإمامَ أحمد بن حنبل – رحمه الله – فقال: "سبحان الله، ما أعقله من رجلٍ". [١١٨] وذُكِر أنَّ الخريبي – عبدالله بن داود الهمداني – لما قيل له: رجع أبو حنيفة عن مسائل كثيرة، قال: إنما يرجع الفقيه إذا اتَّسع عِلمه"[١١٩].

ولنا في رسول الله خير أسوة حسنة ، حيث علمنا ألا نستنكف من قبول الحق مهما كان قائله، ولو جاء على لسان عدو: فقد روى الإمام أحمد بسنده: عَنْ قُتَيْلَةَ بِنْتِ صَيْفِيٍّ الْجُهَيْنِيَّةِ قَالَتْ أَتَى حَبْرٌ مِنْ الْأَحْبَارِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلَا أَنَّكُمْ تُشْرِكُونَ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا ذَاكَ قَالَ تَقُولُونَ إِذَا حَلَفْتُمْ وَالْكَعْبَةِ قَالَتْ فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ قَدْ قَالَ فَمَنْ حَلَفَ فَلْيَحْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ يَا مُحَمَّدُ نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَجْعَلُونَ لِلَّهِ نِدًّا قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا ذَاكَ قَالَ

---

(١١٥) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، م. س (١/ ٤٤).

(١١٦) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية، م.س (١٠/٦٠٠)

(١١٧) أخرجه الخطيب البغدادي في (الفقيه والمتفقه) برقم: (٦٦٣).

(١١٨) انظر : (الفرق بين النصيحة والتعيير) لابن رجب الحنبلي ص (٥) ، والمنتظم لابن الجوزي (١/٢٢٠).

(١١٩) تذكرة الحفاظ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م (١/ ٢٤٧) .

تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ قَالَ فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ قَدْ قَالَ فَمَنْ قَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ فَلْيَفْصِلْ بَيْنَهُمَا ثُمَّ شِئْت) (١٢٠)

وعدم قبول الحق إذا جاء على لسان من يبغضه، أو جاء بما لا تهواه نفسه نوع من الكبر الذي يتعارض مع خُلق الإنصاف، وقد روى مسلم في صحيحه: عن عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ ، قال رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قال : إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبْرُ؛ بَطَرُ الْحَقِّ ، وَغَمْطُ الناس " [١٢١]. وغمط الناس : احتقارهم ، وبطر الحق : رده وعدم القبول به .[١٢٢]

يقول ابن رجب : "والكبر ببطر الحق وهو التكبر عليه والامتناع من قبوله كبراً إذا خالف هواه ومن هنا قال بعض السلف التواضع أن تقبل الحق من كل من جاء به وإن كان صغيرا فمن قبل الحق ممن جاء به سواء كان صغيرا أو كبيرا، وسواء كان يحبه أو لا يحبه فهو متواضع، ومن أبي قبول الحق تعاظما عليه فهو متكبر " . [١٢٣] عن إبراهيم بن الأشعث قال : سألت الفضيل عن التواضع فقال : التواضع أن تخضع للحق وتنقاد له ، ولو سمعته من صبي قبلته منه ، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه . [١٢٤] ومن العلامات التي تظهر ما في النفس من مظاهر الكبر الدفين ما يشير إليه الإمام الغزالي بقوله: (أن يناظر في مسألة مع واحد من أقرانه، فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به، والشكر له على تنبيهه وتعريفه وإخراجه الحق ، فذلك يدل على أن فيه كبراً دفينا فليتق الله ، ولينشغل بعلاجه. أما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته، وأن الكبر لا يليق الا بالله تعالى، وأما العمل فبأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان بالحمد والثناء، ويقر على نفسه بالعجز، وشكره على الاستفادة ويقول: ما أحسن ما فطنت

(١٢٠) مسند الإمام أحمد ٤٥/ ٤٥ برقم ٢٧٠٩٣ .

(١٢١) الحديث متفق عليه صحيح البخاري باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ١/ ١٦ دار ابن كثير، وصحيح مسلم، باب: تحريم الكبر وبيانه ١/ ٩٣ دار إحياء التراث العربي ، وسنن الترمذي ، باب : الكبر ٤/ ٣٦٠ دار إحياء التراث

(١٢٢) المرجع السابق ،(صحيح مسلم) ٩٣/١، بشرح محمد فؤاد عبد الباقي .

(١٢٣) جامع العلوم والحكم ص ١٢٢، وهذا القول مروي عن الفضيل بن عياض، ط: دار إحياء الكتب الغربية . فيصل الحلبي بدون.

(١٢٤) رواه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول : ص١١٨ رقم ٨٨، انظر: (تقريب كتاب: التواضع والخمول لابن أبي الدنيا) قام بتهذيبه وتقريبه والتعليق عليه: محمد خلف سلامة،ص ١١٢.

له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا ما نبهتني له، فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها"[١٢٥].

ثانياً: مجالات الإنصاف

(١): الإنصاف الخلقي: **ويتمثل في الإنصاف من النفس، وإنصاف الآخرين من نفسه.**

(أ) الإنصاف من النفس يكون بإنزالها منزلة الغير، والنظر فيما صدر عنها بكل تجرد وإخلاص، ليرى أهو صواب موافق للشرع فيمضي فيه بعزم، أم هو مردود فيتوقف، ويرد نفسه إلى الصواب؛ لأن المؤمن وقاف كما يقول الحسن البصري: – رحمه الله–: «المؤمن وقّاف متأن»[١٢٦]فهو يتوقف ولا يعجل، حتى يتبين الحق ويتثبت.

- ومن إنصافه لنفسه أيضاً: النظر فيما يقوله عنه الآخرون بعين الإنصاف والعدل لمعرفة أحقٌ هو أم لا. وبناءً على هذا يمكننا القول أن الإنصاف مع النفس يكون من خلال أمرين.

أولهما: قبول الحق وعدم رده من أي إنسان صدر عنه، والثاني : التراجع عن الخطأ في حال التأكد من وقوعه فيه.

(ب) **إنصاف الآخرين من نفسه:** وأعني به: أن ينصف الناس من نفسه في الحق، وهذا ليس بالأمر الهين، بل هو من عزائم الأمور وعظائمها، ومن أوجب الواجبات وأقومها، وهذا النوع من الإنصاف يتنوع ويتفرَّع.

أولهما : الإنصاف مع من نحب: فعليه أن يقول الحق ويحكم به ولو على نفسه أو الوالدين والأقربين ممتثلاً أمر ربه عزَّ وجلَّ: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا)**[١٢٧] وقول نبيه ﷺ : **(قل الحق ولو كان مرا)**[١٢٨] فلا يُجاريهم على خطئهم، بل يبين لهم الصواب إن حادوا عنه، وإن كان خطؤهم شنيعاً يبينه للآخرين لئلا يغتروا بهم ، ولقد طبق المحدِّثون– رحمهم الله– هذا الميزان بأدق تفاصيله، فجرحوا الأب والابن والأخ والقرابة إن احتاج الأمر إلى بيان، في ظاهرة فريدة في التاريخ تبين

---

(١٢٥) إحياء علوم الدين كتاب: ذم الكبر والعجب ج٣ ، ص٣٨٧ ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ دار الريان للتراث.

(١٢٦) النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير)، باب الواو مع القاف) ٥/ ٤٨٠، المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.

(١٢٧) النساء الآية:١٣٥.

(١٢٨) صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ ،(٢/ ٧٦ – ٧٩) ح ٣٦١ ، وبُلُوغُ اَلْمَرَامِ مِنْ أَدِلَّةِ اَلْأَحْكَامِ للإمام: ابن حجر العسقلاني، باب العارية ١/ ١٨٢ برقم: (٩١٠)مكتبة السنة المحمدية، تحقيق محمد حامد الفقي.

أنهم لم يتخذوا من دون الله ولا رسوله وليجة: فقد روى ابن حبان قال: سئل علي بن المديني عن أبيه فقال اسألوا غيري؟ فقال: سألناك، فأطرق ثم رفع رأسه وقال: هذا هو الدين أبي ضعيف"[١٢٩] .

وروى ابن عدي قال: سمعت علي بن عبد الله الداهري يقول سمعت أحمد بن محمد بن عمرو بن عيسى كركر يقول سمعت علي بن الحسين بن الجنيد يقول سمعت أبا داود السجستاني [١٣٠] يقول: ابني عبد الله هذا كذاب"[١٣١] .

وروى مسلم: قال: حدثني الفضل بن سهل حدثنا وليد بن صالح قال: قال عبيد الله بن عمرو: قال زيد – يعني بن أبي أنيسة –: لا تأخذوا عن أخي.[١٣٢]

وثانيهما: إنصاف الخصوم: وهذا الخصم إما أن يكون مسلماً أو غير مسلم، فعليه أن يكون عدلا منصفاً معه أياً كان، لا يحمله بغض أو كراهية على ترك الإنصاف والعدل لقول الله تعالى: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا)، أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل معهم، والإنصاف مع الخصوم أمرٌ عزيز، وكل ما يأتي في بحثي هذا إنما هو تفصيل لهذا النوع من الإنصاف.

وإني لأفهم من قول الله تعالى: چ ه ھ ے ۓ چ أنه يجب على كل مسلم أن يعمل . قدر طاقته . على تحقيق الإنصاف بين الناس، وإن لم يكن طرفا في نزاع أو خصومة، عملا بالنصوص الشرعية التي توجب نصرة المظلوم وإنصافه، والسعي في رد الحقوق لأصحابها. مهما كلفه ذلك من عناء أو عداء.

(٢) الإنصاف العلمي: ويقصد به الإنصاف في مجال العلم والمعرفة، والبحث والدرس، وهذا النوع . ولا شك . من أخطر أنوع الإنصاف، إن لم يكن أخطرها على الإطلاق؛ لأن أمانة العلم والمعرفة من أعظم الأمانات وأجلها، مما يجعل الجزاء والمسئولية مضاعفة على صاحبها، ولما يترتب على خيانة أمانة العلم من وقوع الفساد في عقول الآخرين وأفعالهم؛ لذلك كان الإنصاف في المجال العلمي أوجب وأشد خطراً من غيره.

يقول الدكتور أحمد الريسوني: "لا يختلف الإنصاف . في جوهره . من مجال لآخر، فلا خصوصية للإنصاف العلمي عن أي إنصاف آخر. فالإنصاف مبدأ ومنهج وخُلُق، سواء كان علمياً أو قضائياً أو اجتماعياً أو سياسياً...وإذا كان هناك مِن خصوصية للإنصاف في المجال العلمي، فهي أنه أوجب فيه

---

(١٢٩) (المجروحين) لابن حبان أبو حاتم محمد بن حبان البستي ٢/ ١٥، تحقيق : محمود إبراهيم زايد دار الوعي – حلب.

(١٣٠) صاحب: (سنن أبي داود).

(١٣١) الكامل في ضعفاء الرجال، لعبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، ٤/ ٢٦٥ دار الفكر – بيروت ،الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩ – ١٩٨٨،تحقيق : يحيى مختار غزاوي.

(١٣٢) رواه مسلم في مقدمة الصحيح باب: الكشف عن معايب رواة الحديث (١/ ٢١) دار الجيل بيروت . بيروت

وأليق به من أي مجال آخر، وأن الإخلال به في هذا المجال أضر وأشنع منه في أي مجال آخر. فالعلم أولاً من طبيعته أن يكون ثمرة للنزاهة والموضوعية في النظر والحكم. وهو يفقد صفته العلمية بقدر ما يفقد من النزاهة والإنصاف، حتى إذا كثر فيه التحيز والهوى صار مجرد جهل وإنتاج للجهل.. والأسباب التي تمنع الإنصاف وتدفع إلى التحيز والإجحاف في المجال العلمي، قد تكون إعجاباً بالنفس وكبراً، وقد تكون خوفا من الانتقاص في نظر الناس، وقد تكون لمجرد الغيرة والكراهية، وقد تكون تعصبا مذهبياً، أو تحزباً طائفياً، كنصرة "أصحابنا " والنكاية بـ"خصومنا " ، وقد تكون منفعة تجتلب، أو مضرة تجتنب ... وكل هذه الأسباب وغيرها، قد شابت قدرا كبيرا من تراثنا وتاريخنا العلمي ، وخاصة في الانتقادات المتبادلة بين المذاهب والطوائف والفرق؛ كما بين السنة والشيعة ، وبين المعتزلة والأشاعرة، وبين أهل النظر وأهل الأثر، وبين المذاهب الفقهية، وبين السلفية والصوفية.. وفي مثل هذه الحالات يسود الغلو والتشدد والتشنج ، وتضطرب الموازين، وتلتبس الحقائق، ويضيع الاعتدال والوسطية والإنصاف، وتضيع الفائدة ، والاعتبار بمثل قوله تعالى **(أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ).**[١٣٣] هذا وربما اتسع النطاق في مجالات الإنصاف، فقيل: إنصاف العبد مع نفسه ، وإنصاف العبد مع ربه، وإنصاف المسلم مع نبيه، وإنصاف المسلم مع إخوانه، وإنصافه مع الخصوم.

وبعد فهذه ركائز الإنصاف، أشرت إلى أهمها وأبرزها باختصار، تأسيساً وتأصيلا لهذا الموضوع الأهم فلننتقل إلى أبرز النماذج من القرآن والسنة، وسيرة علمائنا الأجلة، راجياً من الفتاح الكريم جل جلاله عوناً وسداداً..

(١٣٣) سورة الرحمن، الآيتين/٨، ٩. وانظر: وانظر:(من معالم الوسطية: الإنصاف عند الاختلاف) مقال أ.د.أحمد الريسوني. حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ج أم القرى ، بمكة المكرمة، ٢٠٠٧م.

المبحث الثالث:

نماذج من الإنصاف في القرآن الكريم :

أولا: نموذج الأدلة النظرية:

بالنظر والتأمل في آيات القرآن الكريم نلحظ تأكيداً قوياً على أهمية هذه القيمة الخلقية العظيمة وذلك في مواضع متعددة من الآيات والسور،" فالإنصاف والعدل في الحكم مبدأ عام على أولياء الله وعلى أعدائه سواء بسواء، وهو قوام المجتمع الإسلامي، والانحراف عنه – ولو قيد أنملة . يؤدي إلى فساد متسلسل وشر مستطير على حد قول ابن عاشور"[١٣٤]، ومن هذه الآيات الكريمة التي تقوم عليها قاعدة العدل الاجتماعي والإنصاف:

١- قول ربنا جل شأنه: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ[١٣٥] والسواء الذي يدعو إليه الإسلام : العدل والإنصاف، وأن يقف الخصمان عند نقطة واحدة مشتركة لا خلاف عليها لا يتقدم أحدهما عن الآخر ولا يتأخر، يقول الفخر الرازي رحمه الله: "واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أورد على نصارى نجران أنواع الدلائل وانقطعوا، ثم دعاهم إلى المباهلة فخافوا وما شرعوا فيها، وقبلوا الصغار بأداء الجزية، وقد كان عليه الصلاة والسلام حريصا على إيمانهم فكأنه تعالى قال له: يا محمد اترك ذلك المنهج من الكلام، واعدل إلى منهج آخر يشهد كل عقل سليم وطبع مستقيم أنه كلام مبني على الإنصاف وترك الجدال، و(ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ) أي هلموا إلى كلمة فيها إنصاف من بعضنا لبعض، ولا ميل فيها لأحد على صاحبه وهي : ﭽ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼثم يقول:(والسواء هو العدل والإنصاف، وذلك لأن حقيقة الإنصاف إعطاء النَصَف، فإن الواجب في العقول ترك الظلم على النفس وعلى الغير، وذلك لا يحصل إلا بإعطاء النَصْف، فإذا أنصف وترك ظلمه فقد سوى بين نفسه وبين غيره وحصل الاعتدال، فلما كان من لوازم العدل والإنصاف التسوية جعل لفظ التسوية عبارة عن العدل". [١٣٦]

٢. قول الله تعالى في كتابه: ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﭼ [١٣٧] يقول السعدي في تفسيره لقوله تعالى: (ﰘ ﰙ ﰚ) "أي في الحكم فيما اختلفتم فيه، فلا

(١٣٤) انظر التحرير والتنوير للشيخ: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس،١٩٨٤ هـ ١/ ١٠٣٨ .

(١٣٥) الآية ٦٤ سورة آل عمران.

(١٣٦) التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ٤/ ٩٥، ٩٦ ط دار الفكر ١٤١٥ . ١٩٩٥.

(١٣٧) سورة الشورى الآية (١٥).

تمنعني عداوتكم وبغضكم يا أهل الكتاب من العدل بينكم، ومن العدل في الحكم بين أهل الأقوال المختلفة من أهل الكتاب وغيرهم أن يقبل ما معهم من الحق ويرد ما معهم من الباطل".[١٣٨]

٣. وفي قوله جل وعلا: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ[١٣٩] يقول القرطبي . رحمه الله .: "هذا على وجه الإنصاف في الحجة، كما يقول القائل: أحدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادق وأن صاحبه كاذب، والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد، بل على أمرين متضادين، وأحد الفريقين مهتد وهو نحن، والآخر ضال وهو أنتم؛ فكذبهم بأحسن من التصريح بالتكذيب". [١٤٠]

ويقول الإمام البيضاوي في قوله تعالى:(ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ)[١٤١] "أي وإن أحد الفريقين من الموحدين لله المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة، والمشركين به جماداً نازلاً في أدنى المراتب الإمكانية لعلى أحد الأمرين (الهدى أو الضلال) وهذه صورة للإنصاف المسكت للخصم المشاغب، ونظيره قول حسان : أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بكفْءٍ ... فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ [١٤٢]

فهذا أبلغ في الإنصاف حيث عبر عن الهفوات التي لا يخلو عنها مؤمن بما يعبر به عن العظائم، وأسنده إلى النفس، وعن العظائم من الكفر ونحوه بما يعبر به عن الهفوات وأسنده للمخاطبين، وزيادة على ذلك أنه ذكر الإجرام المنسوب إلى النفس بصيغة الماضي الدالة على التحقق، وعن العمل المنسوب إلى الخصم بصيغة المضارع التي لا تدل على ذلك".[١٤٣]

٤. وغاية الإنصاف أن يتنزل مع المخالفين في الخطاب فيفترض . على سبيل الجدل . صحة زعمهم أنهم على الحق، وأن المسلمين في ضلال مبين وذلك في مثل قوله تعالى: (ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ) [١٤٤] يقول الإمام أبو حيان الأندلسي رحمه الله: "وهذا أدخل في الإنصاف ، وأبلغ في الإخبات

---

(١٣٨) تفسير السعدي ١/٧٥٥، م. س.

(١٣٩) سورة سبأ الآية ٢٤-٢٥.

(١٤٠) الجامع لأحكام القرآن، لإمام أبي عبد الله محمد بن أ حمد الأنصاري القرطبي١٤/ ٢٨٦ وما بعدها ط الثانية ١٤١٦هـ ١٩٩٦م تحقيق د محمد إبراهيم الحفناوي، د محمود عثمان دار الحديث . القاهرة.

(١٤١) سبأ آية ٢٤.

(١٤٢) انظر: تفسير البيضاوي ٥/١٣٠٣.

(١٤٣) حاشية أحمد بن محمد بن المنير المالكي على تفسير الكشاف لأبي القاسم الزمخشري ج ٣/ ٢٨٩، ٢٩٠، وتفسير الألوسي:١٦/٣٠٤.

(١٤٤) سورة سبأ الآية ٢٥.

حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم، بينما أسند العمل مجرداً إلى المخاطبين. وهو أكثر تلطفاً واستدراجاً، حيث سمى فعله جرماً – كما يزعمون – مع أنه مثاب مشكور. وسمى فعلهم عملاً، مع أنه مزجور عنه محظور، وأعلى مراتب الإحسان على هذا الإحسان إلى المسيء وقد أمر به نبينا صلى الله عليه وسلم"[١٤٥]

٥- يقول سفيان بن عيينة: سئل علي عن قول الله جل وعلا: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ[١٤٦] قال: العدل: الإنصاف، والإحسان: التفضل[١٤٧]

٦. وفي قول ربنا عز وجل: ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ[١٤٨]: يقول الإمام البقاعي: "(ربنا) أي أيها المحسن إلينا (افتح) أي احكم (بيننا) ولما كان يريد استعطافهم لإسعادهم قال : (وبين قومنا) وفيه إشارة إلى ميله إلى الدعاء بهدايتهم، وأدب بعدم التصريح بما لم يؤذن له فيه (بالحق) أي بالأمر الفيصل من معاملة كل من المحقّ والمبطل بما يستحقه شرعاً وعرفاً، حيث يكون لكل فريق باب يصل به إلى غاية أمره، وهذا مقام الإنصاف، فقد علم من إشارة قوله العناية بقومه، ومن عبارته الإنصاف من نفسه، ولو أراد ترجيح نفسه ومتبعيه لدعا لهم أن يعاملوا بالفضل، وأن يعامل ضدهم بالعدل، والآية معلمة بأن له تعالى أن يفعل ما يريد من خذلان الظالم، ونصر المظلوم، وتعذيب العاصي، وإثابة الطائع وعكس ذلك".[١٤٩]

ثانياً :نموذج عدم التعميم في الحكم عليهم بالفساد.

١- ومن إنصاف القرآن الكريم لأهل الكتاب: أنه لم يعمم عليهم الحكم بالفساد، واستثنى الصالحين منهم . وإن كانوا قلة . فقال: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼأي منهم جماعة معتدلة في أمر الدين، لا تغلو بالإفراط، ولا تهمل بالتقصير.. ولكنهم كانوا من القلة في العدد، وقلة العمل العام والتأثير في المجتمع، ما أدى إلى غلبة طوفان الباطل، ولذلك قال: **(وكثير منهم ساء ما يعملون)** وكأن هذه الآية تنبه أمة محمد ﷺ أن تعمل وسعها، وألا تقف مكتوفة الأيدي أمام الفاسدين المفسدين في الأمة حتى لا يهلكوا جميعاً" [١٥٠] .

---

(١٤٥) انظر: البحر المحيط ٥/٣١٩/٢٠٨.

(١٤٦) الآية ٩٠ من سورة النحل

(١٤٧) انظر:(حلية الأولياء ، سفيان بن عيينة، ٣/٢٩١)

(١٤٨) سورة الأعراف آية ٨٩.

(١٤٩) نظم الدرر للبقاعي: ٣٥٢/١

(١٥٠) (خصائص الأمة الحضارية كما بينتها سورة المائدة) د. إبراهيم زيد الكيلاني، ص١٩٤، بتصرف يسير، ط الأولى= ١٤٨٢-هـ ٢٠٠٤م، جمعية

٢- وفي قوله تعالى: چ ې ې ې ى ى ئا ئا ئه ئه چ[١٥١] درس من دروس الإنصاف لقلة صالحة مصلحة وسط غالبية فاسدة مفسدة لكن القرآن لم يعمم في الحكم، بل استثنى وأنصف- كما يقول الأستاذ محمد أحمد العدوى معلقاً على هذه الآية -" والعبرة في الآية التأسي بالقرآن الكريم في بيان الحقائق، وعدله في الحكم، فالرجل الذي اتخذ القرآن إماماً له ونوراً يهتدي به يتأسى به في حكمه على الأفراد والشعوب؛ فلا يسرف في المدح أو الذم ، ولا يتغالى في بيان التاريخ ألا ترى القرآن يقول في أهل الكتاب: چ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا چ [١٥٢]

لكنك إذا سمعت القصة من رجل لم يتهذب بتهذيب القرآن، ولم يتأدب بأدبه تجد منه الأساليب الخطابية، والمؤثرات الشعرية، وتجده يبالغ في تحريف أولئك لدينهم، وإهمالهم لتعاليمهم، حتى ليخيل إليك أن ما بقي من دينهم بدون تحريف لا يبلغ عشر معشار ما أضاعوه، ثم تراه يقول: (إلا قليلاً منهم) ليريك أن الفساد لم يكن عاما فيهم، بل كان فيهم فريق قليل على صلاحه ورشده.. ثم يخلص الشيخ – إلى العبرة فيقول:" فالقرآن يرينا أنه لا يصح أن تحملنا العصبية للدين أو الكتاب على أن نغمط أهل الكتاب حقهم، أو نبخسهم أشياءهم، وإنما الواجب على المؤرخ أن يذكر ما لهم وما عليهم، ولا أدل على اهتمام القرآن بالعدل والإنصاف في الحكم والشهادة من قوله تعالى: چ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا چ [١٥٣].

أقول: وهذا منهج مضطرد للقرآن في كل آياته وسوره، دعوة وتوجيه إلى الإنصاف ووضع ميزان العدالة لحياة تسودها الطمأنينة والسلم الاجتماعي، وتصان فيها الأعراض والحقوق، وتحفظ فيها كرامة الإنسان، ألا يؤخذ بجريرة الغالبية الفاسدة إذا كان صالحا قائما بالقسط، وهذه بعض الآيات الكريمة التي تضاف إلى ما تقدم : قوله جل شأنه: چ ب ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ چ [١٥٤] **وقوله:** چ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ چ[١٥٥]. **وقوله: (**چ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ چ

المحافظة على القرآن الكريم ـ الأردن.

(١٥١) الآية ١٥٩ من سورة الأعراف.

(١٥٢) الآية ١٣، من سورة المائدة.

(١٥٣) الآية ٨ من سورة المائدة.

(١٥٤) الآية: (٥٣) من سورة يوسف.

(١٥٥) الآية ٢٤ من سورة ص.

(١٥٦) **وقوله تعالى:** چ ٱ ب ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ چ(١٥٧) . **أقول** :وما أكثر الآيات التي تغرس في نفوس المؤمنين بالقرآن إعطاء كل ذي حق ما يستحق، وتقدير كل حالة بقدرها، دون تعميم في حكم، أو غمط في حق من الحقوق، وفي هذا حفظ العرض، وحفظ كرامة النفس الإنسانية، وما أجمل الحياة وأقومها في ظل هذا المنهج الإلهي الأمثل، وفيه العزة والكرامة لأمة الإسلام، بل للإنسانية كلها لو أرادت لنفسها العزَّة والكرامة.

ثالثاً: نماذج تطبيقية للإنصاف في القرآن الكريم:

١. الإسلام أنصف المقسطين من أهل الكتاب:

على الرغم من ذم الله تعالى لبني إسرائيل في غير ما سورة وآية من القرآن الكريم فقد استثنى الحق تبارك وتعالى من استحق الإنصاف منهم فقال تعالى: (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما) (١٥٨) "ومن إنصاف الله تعالى أن ذكر أولئك العلماء المغمورين في وسط جماعة الأشرار، وبين حقيقتهم، وانضمامهم إلى جماعة المؤمنين"(١٥٩).

"وهذه الآية وردت في سياق الحديث عن اليهود والنصارى لتنصف من استحق منهم الإنصاف بعد أن ذم الله تعالى من عاند منهم وحاد عن الحق".(١٦٠)

٢. وبعد حديث عمن ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله . وهم اليهود . بسبب كفرهم وبغيهم وقتلهم الأنبياء بغير حق استثنى الله تعالى منهم طائفة قائمة على الحق، باتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال تبارك وتعالى: چ ھ ھ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ چ(١٦١) وهذا الاسْتِئْنَافٌ قُصِدَ بِهِ إِنْصَافُ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، بَعْدَ الْحُكْمِ عَلَى مُعْظَمِهِمْ بِصِيغَةٍ تَعُمُّهُمْ، تَأْكِيدًا لِمَا أَفَادَهُ قَوْلُهُ چ ڃ ڃ ڃ چ(١٦٢) فَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ لَيْسُوا لِأَهْلِ الْكِتَابِ الْمُتَحَدَّثِ عَنْهُمْ آنِفًا، وَهُمُ

---

(١٥٦) الآية ٤، ٥، ٦من سورة التين.

(١٥٧) الآية ١، ٢، ٣ من سورة العصر .

(١٥٨) سورة النساء الآية ١٦٢ .

(١٥٩) زهرة التفاسير للإمام محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

(١٦٠) انظر شبهات المشككين ١/ ١٥ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تقديم الدكتور محمود زقزوق.

(١٦١) سورة آل عمران، الآية : ١١٣، ١١٤.

(١٦٢) آل عمرَان الآية : **١١٠**

الْيَهُود"[١٦٣] وهذا عين الإنصاف لمن آمن منهم بالله وعمل صالحا.

٣. وفي قصة طعمة بن أبيرق التي أنزل الله فيها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة يبرئ ساحة رجل من يهود المدينة لخير دليل على قيمة الإنصاف وبيان أهميته، وتناولها البيان القرآني في تسع آيات، ووضحتها السنة النبوية في عدد من الروايات؛ وخلاصة القصة[١٦٤] فيما روى صَدَقَةَ وَالسُّدِّيّ وَالْكَلْبِيّ، قَالُوا : "إِنَّ طُعْمَةَ بْنِ أُبَيْرِقٍ سَرَقَ دِرْعَ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ وَكَانَتْ مَوْضُوعَةً فِي نُخَالَةٍ، فَاحْتَمَلَهَا، وَقَالَ غَيْرُهُمْ : كَانَتْ فِي دَقِيقٍ، فَاتَّبَعَ أَثَرَالدَّقِيقِ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرِفُوا مَكَانَهَا أَلْقَاهَا فِي بَيْتِ جَارٍ لَهُ مِنَ الْيَهُودِ يُقَالُ لَهُ : زَيْدُ بْنُ السَّمِينِ، فَخَاصَمَهُ إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَلْقَاهَا فِي بَيْتِي طُعْمَةُ ! وَقَالَ طُعْمَةُ: كَذَبَ الْيَهُودِيُّ، بَلْ هُوَ سَرَقَهَا وَإِنَّمَا وُجِدَتْ فِي بَيْتِهِ! فَإذا بالوحي ينزل كاشفاً الغطاء عن الحقيقة المخبأة، مبرئاً ساحة اليهودي المحْرج، دامغاً خصمه بأنه خائن أثيم . وإن تظاهر بالإسلام . مؤنباً قومه لجدالهم عنه، وسعيهم لدى الرسول ليجادل عنه كذلك، وبدأت الآيات بخطاب الرسول: چ ٻ ٻ د د ئا ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئو ئو ئۇ ئۇ ئې چ محذرة رسول الله من خداعهم له: چ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک چ إِلَى قَوْلِهِ : چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ د د ئا ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئو ئو ئۇ ئۇ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی □ □ □ □ چ[١٦٥]

ترى الإدانة كلها والتعريض بالخيانة والإثم في حق طُعْمَةَ . مع كونه مسلماً، ولا عجب في ذلك فقد كان من المنافقين، بل قيل: إنه ارتد وهرب إلى مكة ومات بها[١٦٦]، لكن الأولى من ذلك بالاعتبار هو دفاع القرآن الكريم عن رجل يهودي اتهم بالسرقة ظلما في تسع آيات من القرآن الكريم المتعبد بتلاوته في الصلاة، لتلقن المسلمين درساً بليغاً لا ينسى: أن الإنصاف والعدل في الحقوق والمساواة أمام القانون وفي المسؤولية والجزاء دِينٌ يجب التزامه مع الناس جميعاً، وفي كل الأحوال، وقد نزلت الآيات على النبي ﷺ كاشفة له عن وجه الحق والحقيقة، عاصمة له من الخطأ في الحكم، محذرة إياه أن يجادل عن الخائنين، أو ينخدع بكلام المنافقين، ثمَّ تأمره بالاستغفار مما همَ بفعله منخدعا بقول المدافعين عن طعمة من عشيرته، لولا عصمة الله لنبيه ﷺ [١٦٧].

---

(١٦٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٤/ ٥٧.

(١٦٤) سنن الترمذي عن قتادة بن النعمان برقم ٣٠٣٦، وقال الترمذي: غريب والحاكم ٣٨٥/٤. ٣٨٨، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه

(١٦٥) سورة النساء آية ١٠٥ – ١١٣.

(١٦٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٢/ ٤٠٦، ٤٠٧، والتفسير الكبير للفخر الرازي ٥/ ٣٦٩

(١٦٧) انظر: التعصب والتسامح بين اليهودية والإسلام للشيخ محمد الغزالي ص٦٠ وما بعدها، ط: نهضة مصر

فهذه واقعة تستدعي الوقوف أمامها طويلاً، واستكناه فحواها ودلالاتها العميقة الجذور في مسيرة الإسلام وتاريخه المجيد، إن التبرئة تأتي في حق يهودي اجتمع قومه على العداوة والتكذيب للإسلام والطعن في رسوله صلى الله عليه وسلم، وبث الفرقة بين أتباعه، لكن هذه السلبيات وتلك الخلفيات المظلمة لا تبرر اتهام يهودي بغير حق، بل إن هذا الاتهام الصريح يأتي في حق رجل مسلم من إحدى قبائل الأنصار، وما أدراك من هم الأنصار، هم الذين آووا ونصروا ، وهم الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبل، وعلى أكتافهم قامت دولة الإسلام، ولكن هذا كله لا يبرر تبرئة سارق منهم ولو كان على حساب يهودي، إضافة إلى أن هذا الموقف قد يعطي مساحة جديدة لليهود يكيلون فيها التهم والادعاءات للمسلمين؛ فها هم المسلمين يسرقون، وها هم يرمون الأبرياء بالتهم، وهاهم يجتمعون على نصرة ظالم، وها هم يكذبون، إنها مساحة واسعة لليهود ليواصلوا طعنهم في جسد الأمة، لاسيما لو سار النبي ﷺ حيث يريد أقرباء طعمة، وكيف تكون نفسية هذا اليهودي المحكوم عليه افتراءً وظلماً ، برغم كل هذه الخلفيات لا بد من إحقاق الحق وإقامة العدل.

إلى هذه المعاني يشير الأستاذ الدكتور أحمد الطيب (شيخ الجامع الأزهر) بقوله: " فهذه تسع آيات نزلت لتبرئة اليهودي المظلوم وتسميه بريئاً، وتدين المسلم الظالم ، وتعاتب النبي صلى الله عليه وسلم لهمه أن يصدقهم ، وفي ذلك دلالة قاطعة على أن الإسلام دين إنصاف بالدرجة الأولى، ويؤيد هذا من هدي سلفنا الصالح في صدر الإسلام ما ورد: أَنَّ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ قال عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ» فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ) (١٦٨)" ومن منطلق شهادة عمرو بن العاص التي جاءت في حديث المستورد القرشي، والتي لو ما قالها لم يلمه أحد، لكن قوله هذا بلغ غاية الإنصاف"(١٦٩)

٤ . إنصاف المشركين فيما قالوه أو فعلوه صواباً : ومن ذلك تعظيمهم حرمة البيت الحرام، وحرمة الأشهر الحرم يقول تعالى چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ چ (١٧٠) ، وقال تعالى: چ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ چ (١٧١)وفي صحيح البخاري: عن أبي بكرة أن

---

(١٦٨) صحيح مسلم، باب: تقوم الساعة والروم أكثر الناس، ٤/٢٢٢٢ برقم: (٢٨٩٨) دار إحياء التراث العربي، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني ٨/ ٣٢٩، ط دار السعادة ١٣٩٤هـ١٩٧٤م.

(١٦٩) ملحق جريدة صوت الأزهر، العدد ٧٩٩ (بتاريخ ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٦هـ ١٦ من يناير ٢٠١٥م).

(١٧٠) سورة البقرة آية : ٢١٧ .

(١٧١) التوبة: ٣٦.

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حُرُم، ثلاث متواليات: ذو القَعْدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مُضَر الذي بين جُمادى وشعبان"[١٧٢].واستمرار حرمة القتال في الأشهر الحرم محل خلاف بين أهل العلم، بين قائل: بالنسخ ، وأن الله قد أحل قتال أهل الشرك في الأشهر الحرم، وغيرها من شهور السنة، وقائل: بأنها محكمة ، واستمرار تحريمها إلى آخر وقت، لكن وجه الاستدلال هنا ، أنهم مع كونهم معتدين ظالمين، لكن الله علَّم رسوله ألا يمنعه شنئان الكافرين وظلمهم أن يقرَّ ما جاء في كلامهم من حق، فهو أولى به منهم، وأن يعترف بالخطأ الذي وقع فيه المسلمون لا عن قصد **(قل قتال فيه كبير)**، مع أنهم حاولوا تضخيم الحدث من أجل إلحاق المعرة بالمسلمين، واستغلوه ليغطوا على سلسلة جرائمهم وأخطائهم التي لا نهاية لها، والجُرم الذي يتحدثون عنه . ما وقع من بعض المسلمين من قتال في الشهر الحرام دون علم بحلوله – غير متكافئ مع ما يتلبسون به من الكفر بالله والصد عن سبيله، وإخراج المسلمين من المسجد الحرام ظلماً وبغياً، وفتنة المسلمين عن دينهم لكنه أقر ما تعللوا به من حرمة الشهر الحرام، وهذا هو الإنصاف.[١٧٣]

رابعاً: نموذج في: الاعتراف بمزايا الخصم أو المخالف: (١٧٤)

قد يكون الاعتراف بمزايا الصديق أو المحايد أمراً عادياً، لكن الاعتراف بمزايا الخصم من عزائم الأمور التي لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ، ذلك أن الكراهية أو العداوة تأبى على المرء الاعتراف بمزايا خصمه، ولا تظهر فيه إلا الخطايا والمساوئ، وهذه جبلة في النفس التي لم تتهذب بتهذيب القرآن، ولم تسمو إلى سؤدده الخلقي، لذا كان من جمال التعبير القرآني خطابه لأصحاب الرسالات السابقة رغم ما وقعوا فيه من شرك وضلال . بـ(يا أهل الكتاب)، وهذا الاسم من أحسن الأسماء، وأكمل الألقاب، حيث جعلهم أهلاً لكتاب الله تعالى، ونظيره ما يقال لحافظ القرآن يا حامل كتاب الله، وللمفسر يا مفسر كلام الله ، يريد المبالغة في تعظيم المخاطب [١٧٥] أقول : ولعل المراد من ذلك: التلطف معهم في الخطاب، لجذب قلوبهم إلى سماع الحق، وقد يفهم من ندائهم بهذا النداء أيضاً: إشعارهم بأنهم أولى من غيرهم بالاعتراف بهذا

---

(١٧٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، باب:من انتظر حتى تدفن، ٤/ ١٠٧ دار طوق النجاة ، ومسلم في صحيحه، باب : تغليظ حرمة الدماء والأعراض والأموال ٩/ ٣٢.

(١٧٣) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٩ ، ٥/ ٤٠٩ والطبري ٤/ ٣٠٠ والبحر المحيط٣٣٢/٢.، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي للأستاذ عمر عبيد حسنة، ص ٩٦، سلسلة كتاب الأمة ط الأولى١٤٠٥هـ.

(١٧٤) انظر للتفصيل في مضمون هذا العنوان (إنصاف الخصم في القرآن) للدكتور عبد الحليم حفني (ص ٥١ وما بعدها) ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م .

(١٧٥) التفسير الكبير للإمام الرازي ٨٦/٨ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير سورة آل عمران ١١٦٨/١.

الركن الأعظم في كل الشرائع . توحيد الله تعالى . الذي لا يخالف جوهر ما جاء في كتابهم. هذا ما يشير إليه الإمام النيسابوري بقوله: :وقد يكون المراد ب (تعالوا إلى كلمة سواء) أي هلموا إلى كلمة سواء فيها إنصاف من بعضنا لبعض، لا ميل فيه لأحد على صاحبه. والسواء هو العدل والإنصاف؛ لأن حقيقة الإنصاف إعطاء النصف وفيه التسوية بين نفسه وبين صاحبه. أو المراد إلى كلمة سواء مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل". (١٧٦)

وهذا ما نجده كثيراً في القرآن الكريم في نماذج عدة ، منها على سبيل المثال:

١. ملكة سبأ : المرأة التي أنصفها القرآن ، وزكى فقهها ورشدها السياسي، وحسن إدارتها لشئون الدولة بالمشاورة والحزم، فقد التزمت باستشارة رعيتها وإشراكهم فيما يتعلق بسلمهم وحربهم فقالت: چ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ چ فكان جوابهم الذي يكشف عن منطق القوة : چ ۉ ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو چ فنطقت بما يدل على حصافتها وفقهها لأصناف الناس وطبائعهم: چ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى (١٧٧) ثم صدق القرآن على قولها بقوله: ئد ى ى چ "تصديق لها من جهته عز وجل على ما أخرجه ابن أبي حاتم، أو هو من كلامها تأكيداً لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي، وتقرير له بأنه عادتهم المستمرة، فالضمير للملوك، وكأنها أرادت على ما قيل : إن سليمان ملك، والملوك هذا شأنهم ، وغلبتنا عليه غير محققة، ولا اعتماد على العدد والعدة والشجاعة والنجدة، فربما يغلبنا فيكون ما يكون، فالصلح خير، وقيل: إنها غلب على ظنها غلبته؛ حيث رأت أنه سخر له الطير فجعل يرسله بأمر خاص إلى شخص خاص مغلق عليه الأبواب، فأشارت لهم إلى أنه سيغلب عليهم إذا قاتلوه فيفسد القرى، ويذل الأعزة، وأفسدت بذلك رأيهم وما أحسته منهم من الميل إلى مقاتلة سليمان عليه السلام" (١٧٨) كذلك يبدو ذكاؤها واضحاً عندما عمدت إلى اختبار أمر سليمان عليه السلام أهو نبي أم ملك بقولها: **(وإني مرسلة إليهم بهدية)** وفي اختيارها نوع الهدية التي تليق بالملوك في نفاستها وقيمتها وعددها، وإلى تضمينها بعض الأسرار التي لا يعرفها إلا نبي يوحى إليه، وفي قولها : **(فناظرة بم يرجع المرسلون)** حتى أعمل ما يقتضيه الحال، وهذا ظاهر في أنها لم تثق بقبوله عليه السلام هديتها وقد كان ، كما ظهر فقهها كذلك في حسن جوابها حين سئلت :**(قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو)** فرغم ما عاقها وأخَّر إسلامها بسبب ما نُشئت عليه من عبادة غير الله تعال، إلا أنها في النهاية برجاحة عقلها نفضت عن نفسها الجهالة والكبرياء، واستسلمت لأمر الله رب العالمين:(چ □ □ □

---

(١٧٦) تفسير النيسابوري ٢/٢٧٨. ط دار الفكر . بيروت بون تاريخ.

(١٧٧) الآيات : (٣٢-٤٢) من سورة النمل.

(١٧٨) (روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني) للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ت ١٢٧هـ، ج١١ ص٢٩٦ وما بعدها ط: دار الفكر لسنة ١٤١٤هـ١٩٩٤

□ □ □ □ □ □ □ □ □ چ[١٧٩]

٢. مفكر قريش الذي:(فكر وقدر فقتل كيف قدر)

لقد كانت قريش تعتقد أن عليها أن تشن حرباً لا هوادة فيها على القرآن الذي جاء به محمد ﷺ ، والذي يملك من وسائل التأثير والتغيير على عقول البشر مالا قبل لهم به، وتعتقد أن حربها ليست مع محمد ﷺ الذي يرونه رجلاً عادياً ليس من عظمائهم، وإن بلغ في الفصاحة والبلاغة مبلغاً.

وكانت قريش تشعر بالعجز والفشل أمام مواجهة القرآن الذي يحول سامعه من النقيض إلى النقيض؛ من الكفر إلى الإسلام، ومن الولاء لقومه وعشيرته إلى الولاء للقرآن والانقياد لما جاء به محمد ﷺ ما جعلهم يعلنون إفلاسهم فيقولون: چ ئے ئے ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ چ[١٨٠] لكن الوليد بن المغيرة لم يرض لنفسه موقف العاجز، فيعقد عزمه على ألا يستسلم، وأن يفكر ملياً، ويقدح زناد فكره وعقله ليصل إلى قول فصل، ووصف للقرآن تقبله قريش ولا تنفر منه، حتى أداه تفكيره في النهاية إلى أنه سحر يفرق بين المرء وزوجه، وبين المرء وأبيه.

فلننظر إلى إنصاف القرآن واعترافه بمزايا خصم لدود، وعدو عنيد، لم تكن عداوته عداوة رجل عادي من المناهضين لدعوة الإسلام ، بل تزعم تياراً يقف في طريق دعوة الحق، يصد عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، وتأمل وصفه لرجل استخدم كل طاقته ودهائه وعبقريته ليصل إلى قول فصل يصد به الناس عن دعوة محمد چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ چ[١٨١]

" حكى الله كيفية عناده فقال: (إنه فكر وقدر) يقال فكر في الأمر وتفكر إذا نظر فيه وتدبر، ثم لما تفكر رتب في قلبه كلاماً وهيأه وهذا هو المراد من قوله(فقدر) ثم قال تعالى: (فقتل كيف قدر) وهذا إنما يذكر عند التعجب والاستعظام، ومثله قولهم قتله الله ما أشجعه ، وأخزاه الله ما أشعره، ومعناه أنه قد بلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك، وإذا عرفت هذا فنقول: إنه يحتمل ههنا وجهين: (أحدهما) أنه تعجيب من قوة خاطره، وأنه لا يمكن القدح في أمر محمد عليه الصلاة والسلام بشبهة أعظم ولا

---

(١٧٩) الآيات: (٣٢-٤٢) من سورة النمل. وانظر للتفصيل في هذا: (روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني) للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ت ١٢٧٠هـ ،ج ١١ص ٢٩٦ وما بعدها. م.س .

(١٨٠) الاية ٢٦ من سورة فصلت.

(١٨١) الآيات : (١٨-٢٥) من سورة المدثر.

أقوى مما ذكره، و(الثاني) الثناء عليه على طريقة الاستهزاء ، يعني أن الذي ذكره في غاية الركاكة والسقوط" [١٨٢]

وها هنا الشاهد؛ أنَّ العداوة والشنئان لم يقفا حائلاً دون الاعتراف بهذا الجهد الجهيد، وهذا التفكير والتقدير، الذي لم يقلل القرآن من شأنه، بل يهول من خطره وتأثيره كسلاح تستخدمه قريش في الصد عن دعوة محمد، وتشن به حرباً نفسية وإعلامية تصرف بها وجوه الناس عنه، وعما جاء به من عظيم الدين، ومكارم الأخلاق، ولكن هيهات هيهات، لقد انتشرت دعوة الإسلام رغم أنوفهم، وأعزَّ الله الإسلام وأهله، وأذل الباطل وحزبه.(١٨٣)

وهذا هو الدرس: أنَّ على المسلمين أن ينصفوا غيرهم . أيا كانوا . فيما لهم من مزايا، وأن يستفيدوا من رصيد غيرهم من التجارب الناجحة، فـ (الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحقُّ الناس بها)[١٨٤]، فليس كل ما لدى الغرب، أو الأمم الأخرى شر كله يجب اجتنابه، بل من الإنصاف أن نعترف بما لهم من جوانب إيجابية في الممارسات العملية، وبعض نظم الحياة (مثل تكافؤ الفرص، والمساواة أمام القانون، وبعض جوانب الحرية) . وإن كان النظام الإسلامي استوعب هذا كله . لكن المسلمين قصروا في العمل به، فكم هو مفيد ونافع للدعوة الإسلامية أن تستفيد من الفرص الممنوحة للإنسان في الغرب في نشر الدعوة الإسلامية كما استفاد المسلمون من مزايا الآخرين عبر تاريخهم المجيد كما في الهجرة إلى الحبشة، وتدوين الدواين وحفر الخندق ..إلى ما هنالك.

وبعد هذه الرحلة القرآنية في نماذج من أدب الإنصاف عن الخلاف أُتبعه ببيان السنة المشرَّفة الذي يتطابق معه ولا يكادان يختلفان؛ ما يزيد الأمر تأصيلاً وتفصيلاً.

---

(١٨٢) تفسير الفخر الرازي، ٢٩/ ٢٠١ط: دار الفكر . بيروت ١٤١٥هـ١٩٩٥م ، روح المعاني للعلامة الألوسي ١٦/ ٢١١ وما بعدها ط:دار الفكر . بيروت ١٤١٤هـ١٩٩٤ ،و تفسير: تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني ٤٤٣/٤ط: دار القلم ١٤٠٨هـ١٩٨٨م.

(١٨٣) انظر للتفصيل: إنصاف الخصم في القرآن، د. عبد الحليم حفني ص٨٩. ٩٩، م. س.

(١٨٤) الحديث: أخرجه الترمذي في سننه ، باب: فضل الفقه على العبادة، ٥/ ١٥ برقم ٢٦٨٧ وقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْفَضْلِ الْمَخْزُومِيُّ يُضَعَّفُ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ.، وفي: سنن ابن ماجة ، باب:١٥ الحكمة ، ٢/ ١٣٩٥ برقم: ٤١٦٩، وقال الألباني ضعيف جدا. أقول: لكن معناه صحيح متفق عليه عند أصحاب العقول، وقد صار مثلاً وحكمة مشتهرة.

المبحث الرابع:

نماذج من الإنصاف في السنة النبوية المشرفة.

لقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يغضب ولا يقول إلا حقاً، ويقبل الاختلاف مع غيره، ولا يخرجه غضبه ولا اختلافه مع الآخرين عن الحق شيئاً، وكان دائما ما يدعو ربه أن يلهمه العدل في الرضا والغضب، وكان من دعائه قوله صلى الله عليه وسلم: (اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة العدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر)[١٨٥] ، وجاءت أقوله مع أفعاله تؤسس لبناء حياة إنسانية كريمة، تسود فيها روح التعاون والتآلف، والعدل والإنصاف، وتؤدى فيها الحقوق من غير حيف ولا جور.

وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ:(يا معاذ :أوصيك وصية الأخ الشفيق، أوصيك بتقوى الله، وعد المريض، واشرع في حوائج الأرامل والضعفاء، وجالس الفقراء والمساكين، وأنصف الناس من نفسك، وقل الحق، ولا تأخذك في الله لومة لائم). [١٨٦]

أولا: إنصافه مع الخصوم:

١. وفي سنته العملية نماذج لا تحصى من إنصافه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نفسه، وإنصاف بين الناس جميعاً، وليس أدل على ذلك من أنه لم يَجُرْ في حكم قط، كما أنه لم يجرب عليه كذب قط، هذا بشهادة أعدائه قبل أصدقائه، ولو ثبت عنه خلاف ذلك لسارع الشانئون الحاقدون إلى نشره وترداده، لكن أحداً منهم لم يقف على واقعة حقيقية واحدة يفعل فيها خلاف ما يقول، اللهم إلا ما رمي به زوراً وبهتاناً حين قال له رجل: اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، فقال صلى الله عليه وسلم: فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل "[١٨٧] فقال له رجل أنقتله؟ قال لا : لعله يصلي"[١٨٨]

---

(١٨٥) مصنف ابن أبي شيبة، ٤٥/٦، برقم: ٢٩٣٤٨، وتخريج أحاديث الإحياء، باب:١٠٥٧،ج ٣/ص ٥٧، وقال العراقي رواه النسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد من حديث عمار ابن ياسر انظر موسوعة أطراف الحديث، ١٩٨٧٩٩/١.

(١٨٦) (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، الفصل السادس) باب: الترغيب السداسي من الإكمال، ٩٠٣/١٥برم ٤٣٥٥٥، وفي: تخريج أحاديث الإحياء للعراقي (٧٢٥ـ ٨٠٦هـ) وابن السبكي ٧٢٧ـ ٧٧١ هـ والزبيدي ١١٤٥ـ ١٢٠٥هـ إعداد أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد ١٣٧٤هـ ٣/ ١١٦١، برقم ١٧١١ وقال ابن السبكي: (٦/ ٣١٦) لم أجد له إسنادا.

(١٨٧) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، فصل في توقير العالم، ١/ ١٤١، ومصنف ابن أبي شيبة ج٧ص٥٦٢، ح رقم: ٣٧٩٣٢، انظر موسوعة أطراف الحديث ١/ ١١٣١٥٢.

(١٨٨) صحيح ابن حبان بأحكام الأرناؤوط ٧٨/١، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

فانظر إليه . صلوات ربي وسلامه عليه . تراه في كل مرة لم يخرجه غضبه أو استغضابه عن حد الاعتدال، ولا يزيده الجهل عليه إلا حلما، فضرب لنا بذلك أروع المثل والقدوة من نفسه على التزام الإنصاف والاعتدال في الأحوال كلها.

٢. وقف النبيﷺ على المنبر قبل أن يموت بتسع ليال ثم قال: "من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه " [١٨٩] وحاشاه ﷺ أن يكون قد فعل بأحد من هذا إلا عقوبة أو حداً.

ثانياً: إنصاف أصحاب السابقة والفضل **:**ومن مدرسة النبوة نتعلم :أن المرء يوزن بصوابه وخطئه معا، ولذا كان ﷺ يذكر لذوي الهفوات العارضة صوابهم وسابقاتهم التي ترجح هفواتهم وتغطي عليها، لأنهم بشر يجري عليهم ما يجري على البشر من الخطأ والضعف، فلا نزن ما يصدر عن غيرنا بميزان الملائكة الذين لا يخطئون، من أجل هذا رد رسول الله ﷺ على عمر Δ في أمر حاطب بن أبي بلتعة، حين بعث إلى قريش بكتاب يخبرها فيه نبأ رسول الله بغزو مكة فقال ﷺ: "وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال :اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)"[١٩٠]

"والذي يتأمل الأعمال الجماعية يدرك أن معادن الرجال إنما تستبين في المواطن الحرجة التي تستدعي الفقه والحكمة ، وبمواقفه فيها يرجح ميزانه إلى إحدى الكفتين :الجدارة أو الضعف، كمواطن الخلاف العارمة التي يطيش خلالها التعامل، والشدائد والمحن التي لا يصبر لها إلا عظيم الهمة، ومواطن الإغراء وفرص كسب الأموال والمناصب التي لا يرغب عنها إلا من يطل ببصره على جنان عريضة.أما الزلات العارضة من اللم ، والحَرف الغاضب، والنبرة المنفعلة .. فلا يكاد يبرأ منها أحد. والشريعة كلها بنيت على مراعاة هذا التكافؤ، واعتبار هذه القاعدة في الترجيح، ورب النَّاس يزن بهذا الميزان يوم القيامة، ولكن البعض ينسى . فمن أراد إتقان أدب الإسلام في الجرح والتعديل عليه أن يعلم أن :من قواعد الشرع والحكمة أيضا أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام أثر ظاهر، فإنه يحتمل منه ما لا يحتمل من غيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث، بخلاف الماء القليل فإنه لا يحتمل أدنى خبث. وهذا هو المانع له صلى الله عليه وسلم من قتل من جسَّ عليه وعلى المسلمين، وارتكب مثل ذلك الذنب العظيم، فأخبره صلى الله عليه وسلم أنه شهد بدرا، فدل على أن مقتضى عقوبته قائم، لكنه منع من ترتب أثره عليه ما له من المشهد العظيم، فوقعت تلك السقطة العظيمة مغتفرة في جنب ماله من الحسنات".[١٩١]

---

(١٨٩) المعجم الأوسط للطبراني، ج٣/ص١٠٤، برقم: ٢٦٢٩، موسوعة أطراف الحديث،ج١/برقم:١٢٢٥٥٩.

(١٩٠) صحيح البخاري، باب من نظر في كتاب من يحذر على المسلمين منه،٢/٢١، وباب: غزوة الفتح ١٥٥٧/٤ط دار ابن كثير، وشعب الإيمان للبيهقي باب: (٦٦) فضل الصلوات الخمس في الجماعة ٣٩/٧، و السنن الكبرى للنسائي، ترقيم شعيب، بتب: كيفية صلاة القاعد، ١١٣/٥

(١٩١) (العوائق) لمحمد أحمد الراشد ص ١٣٨ وما بعدها الجزء الثاني من سلسلة في فقه الدعوة مؤسسة الرسالة.

ثالثاً: إنصاف في بيوت أزواج النبي:

١. هذه أم المؤمنين عائشة . رضي الله عنها . ترد عن حسان بن ثابت حين هجاه عبد الله بن الزبير. رضي الله عنه . وكان حسان ممن خاض في حادثة الإفك مع من خاض، فعن هشام بن عروة عن أبيه قال : ذهبت أسبُّ حسان عند عائشة، فقال :لا تسبه فإنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) [١٩٢] وفي رواية مسلم عن هشام عن أبيه أن حسان بن ثابت كان ممن كثَّر على عائشة فسببته، فقالت: يا ابن أختي دعه فإنه كان ينافح عن رسول الله "[١٩٣] فرغم ما لحقها من أذىً بخوض حسان مع من خاض إلا أنها لم تسمح لابن أختها بسببه، بل ذكرت له مكرمة من مكارمه، وواحدة من مزاياه، وهي أنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ وهو من عظيم الإنصاف .

2. وفي إنصاف الضرة لضرتها :نقتبس من أمهات المؤمنين ما يدل على كمال الأخلاق في بيت النبوة، فهذه السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها حين سئلت في حادثة الإفك: ما علمت وما رأيت؟ قالت : يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرا، وعائشة تقول عنها: هي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فعصمها الله بالورع . يعني ما كانت تمتع به من ورع صادق . وطفقت حمنة أختها تحارب لها فهلكت فيمن هلك".[١٩٤]

ها نحن إذن أمام نموذجين متضادين: الأول: لامرأة تصف ضرتها في اعتدال وإنصاف فتقول: (والله لا أعلم إلا خيرا) والأخرى تذكرها بما لها من فضل، وتعترف بما لها من مزية فتقول: (هي التي كانت تساميني من أزواج النبي).

أما النموذج الآخر: فلامرأة تحارب لأختها بالباطل، وبغير إنصاف ولا مراعاة لفضل، فتهلك مع من هلك.وشهادة أم المؤمنين زينب تتعانق مع شهاد ة الجارية (بريرة) حين سئلت. فقالت: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمر قط أغمصه، غير أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله).[١٩٥]

فهي لا تذكر لها من عيب إلا ما تقتضيه طبيعة السن، وما يقبله العقل والطبع، لذلك قدمت براءتها (أنها جارية حديثة السن) لم تسبق لها تجربة . قبل أن تذكر ما عليها.

---

(١٩٢) صحيح البخاري باب: من انتظر حتى تدفن ، ٥/ ١٢١، دار طوق النجاة.

(١٩٣) صحيح مسلم، باب: فضائل حسان بن ثابت، ١٩٣٣/٤دار إحياء التراث العربي

(١٩٤) صحيح مسلم باب: حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، ٤/ ٢٩ .

(١٩٥) صحيح البخاري ، باب: حديث الإفك ٣١/٤، وباب : من انتظر حتى تدفن ١١٣/٩ط دار طوق النجاة، وصحيح مسلم باب: (معرفة الركعتين اللتين كان..) ، ٤/ ٢١٣٣، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣. وفي موقف آخر؛ في غيرة أزواج النبيﷺ من حبه لعائشة رضي الله عنها (قَالَتْ عَائِشَةَ أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّﷺ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم -إِلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِى فِى مِرْطِى، فَأَذِنَ لَهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِى إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِى ابْنَةِ أَبِى قُحَافَةَ . وَأَنَا سَاكِتَةٌ - قَالَتْ: فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِﷺ أَىْ بُنَيَّةُ أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ، فَقَالَتْ بَلَى .قَالَ: فَأَحِبِّى هَذِهِ، قَالَتْ: فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِﷺ فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِى قَالَتْ وَبِالَّذِى قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِﷺ فَقُلْنَ لَهَا: مَا نُرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَىْءٍ، فَارْجِعِى إِلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ فَقُولِى لَهُ إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ فِى ابْنَةِ أَبِى قُحَافَةَ .فَقَالَتْ فَاطِمَةُ وَاللَّهِ لاَ أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا .قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهِىَ الَّتِى كَانَتْ تُسَامِينِى مِنْهُنَّ فِى الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْراً فِى الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَى لِلَّهِ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالاً لِنَفْسِهَا فِى الْعَمَلِ الَّذِى تَصَدَّقُ بِهِ وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدةٍ كَانَتْ فِيهَا تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ، قَالَتْ فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ– وَرَسُولُ اللَّهِﷺ مَعَ عَائِشَةَ فِى مِرْطِهَا عَلَى الْحَالَةِ الَّتِى دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِى إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِى ابْنَةِ أَبِى قُحَافَةَ .قَالَتْ ثُمَّ وَقَعَتْ بِى فَاسْتَطَالَتْ عَلَىَّ وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ هَلْ يَأْذَنُ لِى فِيهَا - قَالَتْ - فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ لاَ يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ قَالَتْ: فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا حِينَ أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا [١٩٦] ،الَتْ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم - وَتَبَسَّمَ: إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِى بَكْرٍ).[١٩٧] ومع أن كل ما جاء في الحديث عجيب إلا أن أشده عجباً ما ترى من إنصافها لضرتها زينب بنت جحش رضي الله عنها حين قالت: (وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِى الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ وَأَتْقَى لِلَّهِ الخ وقالت: هي التي كانت تساميني من أزواج النبيﷺ في المنزلة)..الخ ما قالت في مدحها ووصفها بذاك الإنصاف العجيب، والاعتراف بمزاياها التي تنافسها بها في أرفع مقام في الزوجية لخير البرية ﷺ ، فلما تعرضت لما لها من طبع قالت على استحياء: (ما عدا سورة من حدة كانت فيها) لكنها استدركت على قولها بما يزكيها فقالت: أنها تسرع منها الفيئة) وهذا عين الإنصاف.

رابعاً: الإنصاف بين أفراد الأسرة الواحدة:

إن قوة الزوج قد تغريه بظلم زوجه، فيؤذيها وقد يعضلها ليذهب ببعض حقها؛ ولذا وضع الإسلام . في الحقوق الزوجية . حدودا فاصلة، ورتب من العقوبات الدنيوية والأخروية ما يردع الزوج عن ظلم زوجته في

---

(١٩٦)السورة : الثوران وعجلة الغضب ، والمرط : الكساء من صوف وغيره، أنحيت : عارضتها، أنشبها : أمهلها (تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي لصحيح مسلم ، ١٦/ ٩٨، برقم: (٦٤٤٣).

(١٩٧) صحيح مسلم ، باب: ١٣ في فضل عائشة ٧/ ١٣٥ ، وسنن النسائي ترقيم أبي غدة، باب حب الرجل بعض نسائه على بعض ٧/ ٦٤برقم : ٣٩٤٤.

حال الزوجية ، أو بعد الافتراق؛ لذا كان مما أكد عليه النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أن قال: "ألا فاستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم" (أي: أسيرات في أيديكم)[١٩٨]

١- وفي إنصاف الزوج لزوجه: يقول:ﷺ فيما راوه أبو هريرة . رضي الله عنه . لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر"[١٩٩] يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي معلقاً على هذا الحديث الشريف: "هذا الإرشاد من النبي . صلى الله عليه وسلم . للزوج في معاشرة زوجته من أكبر الأسباب والدواعي إلى حسن العشرة بالمعروف، فنهى المؤمن عن سوء عشرته لزوجته. والنهي عن الشيء أمر بضده. وأمره أن يلحظ ما فيها من الأخلاق الجميلة، والأمور التي تناسبه، وأن يجعلها في مقابلة ما كره من أخلاقها؛ فإن الزوج إذا تأمل ما في زوجته من الأخلاق الجميلة، والمحاسن التي يحبها، ونظر إلى السبب الذي دعاه إلى التضجر منها وسوء عشرتها، رآه شيئاً واحداً أو اثنين مثلاً، وما فيها مما يحب أكثر. فإذا كان منصفاً غض عن مساوئها لاضمحلالها في محاسنها. وبهذا: تدوم الصحبة، وتؤدّى الحقوق الواجبة والمستحبة وربما أن ما كره منها تسعى بتعديله أو تبديله. وأما من غض عن المحاسن، ولحظ المساوئ ولو كانت قليلة. فهذا من عدم الإنصاف. ولا يكاد يصفو مع زوجته، والناس في هذا ثلاثة أقسام:

الأول: أعلاهم: من لحظ الأخلاق الجميلة والمحاسن، وغض عن المساوئ بالكلية وتناساها.
والثاني: وأقلهم توفيقاً وإيماناً وأخلاقاً جميلة: من عكس القضية، فأهدر المحاسن مهما كانت، وجعل المساوئ نصب عينيه. وربما مددها وبسطها وفسرها بظنون وتأويلات تجعل القليل كثيراً، كما هو الواقع،
والثالث: من لحظ الأمرين، ووازن بينهما، وعامل الزوجة بمقتضى كل واحد منها. وهذا منصف. ولكنه قد حرم الكمال"[٢٠٠].

---

(١٩٨) سنن الترمذي، باب: ما جاء في المرأة على زوجها، ٤٦٧/٣برقم١١٦٣وقال أبو عيسى : حديث حسن صحيح، وسنن النسائي ترقيم شعيب، ٣٧٢/٥، برقم٩١٢٣.

(١٩٩) صحيح مسلم ، باب الوصية بالنساء، ١٧٨/٤برقم ٣٧٢١، دار إحياء التراث.

(٢٠٠) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ، للشيخ عبد الرحمن السعدي، باب: (شرح الحديث الخمسون) ٩٢/١ ، ط: الرابعة وزارة الشئون الإسلامية بالسعودية، بدون.

٢- نموذج: انصاف الزوجة لزوجها عند الافتراق:

وهذه امرأة تختلع من زوجها، ولما أرد النبي صلى الله عليه وسلم مراجعتها فيما رغبت فيه من حق كفله الإسلام لها ، قاصدا بذلك الإصلاح والتوفيق بينهما ، قالت المرأة: يا رسول الله إني لا أعيب عليه في خلق ولا دين ، ولكني أكره الكفر بعد الإسلام "[٢٠١]

فانظر كيف برأته في خلقه ودينه، وعللت طلبها الفراق بأنها تخشى من عدم حبها لزوجها أن تحملها على المعصية أو الخيانة التي ربما تؤدي إلى الكفر بعد الإسلام.

أقول :وما أجمل العدل والإنصاف عندما يقع تعدد في الزوجية فلا يدفعه شدة حبه لإحداهن على ظلم الأخرى أو الجور على حقوقها لقول النبي صلى الله عليه وسلم: من كان له زوجتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل"[٢٠٢]

فعقوبة الميل الظالم في القسم بين نسائه أن يميل الله قامته يوم القيامة؛ حتى يكون الجزاء من جنس العمل، ويفتضح أمره بين الخلائق، ألا ما أعظمه من جزاء وأشنعها من عقوبة على ترك العدل والإنصاف. ثم نرى الشرع الحكيم ينهاه عن مضايقتها وإعناتها ليلجئها إلى التنازل عن بعض حقوقها فيقول تعالى : چ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو چ [٢٠٣] فلو وصل الأمر إلى آخر الدواء وأبغض الحلال (الطلاق) فإن إنصاف الشريعة الإسلامية للمرأة يحمله على أن تكون مفارقته لها بالمعروف، فلا يظلم أو يجور على حق مطلقته، ولا يفشي لها سراً، ولا يستبيح تلويث سمعتها، فضلا عن حرمة الافتراء والبهتان، وهذا كما يحرم على الرجل يحرم على المرأة أيضا ، والخطاب وارد فيه للرجال دون النساء على جهة التغليب ، ولأن مظنة وقوع الجور من الرجل على المرأة أقوى وأكثر.

---

(٢٠١) المعجم الكبير للطبراني ٣٤٧/١١برقم ١١٩٦٩.

(٢٠٢).أخرجه النسائي في السنن الكبرى من حديث أبي هريرة ، باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض، ٧/ ٦٣ترقيم أبي غدة/ ٣٩٤٢، وقال الألباني صحيح ، أخرجه أصحاب السنن الأربعة عن همام بن يحيى عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم } : من كان له امرأتان ، فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل) قال الترمذي : لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث همام ؛ ورواه الحاكم في المستدرك ، وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

(٢٠٣) الآية (١٩) من سورة النساء.

خامساً: إنصاف النبي غير المسلمين بذكر ما لهم.

١- أنصف النبي صلى اله عليه وسلم النجاشي ملك الحبشة قبل أن يسلم فقد قَالَ النبي صلى الله عليه وسلم لِأَصْحَابِهِ لَمَّا رَأَى الْمُشْرِكِينَ يُؤْذُونَهُمْ وَلَا يَسْتَطِيع أَنْ يَكُفَّهُمْ عَنْهُمْ " إِنَّ بأرض بِالْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَم عِنْده أَحَد، فَلَوْ خَرَجْتُمْ إِلَيْهِ حَتَّى يَجْعَل الله لَكُمْ فَرَجًا ومخرجاً"[٢٠٤]

وقد أسلم وآمن بالحق الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ونعاه النبي صلى الله عليه وسلم، وصلى عليه صلاة الغائب .[٢٠٥] والشاهد في الأمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أثنى عليه، ووصفه بأحسن ما فيه . رغم أنه كان مشركا بالله حينئذ . لكنه كان ملكا عادلا لا عنده يظلم أحد، وتلك صفة عزيزة عزت في زمانه، وندر المتصفون بها .

٢- وقد كان من سفراء قريش يوم الحديبية رجل يسمى :الحُلس بن علقمة الكناني سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :هذا من قوم يتألهون، فابعثوا الهدي في وجهه، وأمر برفع الصوت بالتلبية فلما رأى الحُلس الهدي يسيل من عرض الوادي في قلائده رجع إلى قريش قبل أن يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك إعظاماً لما رأى، واعتبر عمل قريش عدوانا ضد زوار بيت الله الحرام، فرجع محتجا على قريش التي أعلنت غضبها لصراحة الحُلس"[٢٠٦] والشاهد هنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكره بأحسن ما فيه وهو أنه من قوم يتألهون :أي يتعبدون، أو يعظمون الحرمات والمقدسات.

٣- أنصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم المطعم بن عدي، فظل يذكر له مكرمته يوم دخل مكة مرجعه من الطائف في جوار المطعم، فذكره النبي صلى الله عليه وسلم يوم مر بقتلى المشركين في بدر فقال صلى الله عليه وسلم) : لو كان المطعم بن عدي حياً فكلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له)[٢٠٧].

---

(٢٠٤) مسند الإمام أحمد باب: حديث محمد بن حاطب (رضي الله عنه) ٢٥٩/٣ ط مؤسسة قرطبة، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن، والسنن الكبرى للبيهقي، باب الإذن بالهجرة١٦/٩برقم:١٧٧٣٤

(٢٠٥) عون المعبود، في شرح سنن أبي داود باب: (في الصلاة على المسلم يموت) (٧/ ١٩٠).

(٢٠٦) انظر: الخراج لأبي يوسف ص ٢٢٧ وما بعدها ط: الكتبة الأزهرية، والسيرة النبوية للدكتور على محمد الصلابي ٣٤٥/٢ وما بعدها ط:الثانية١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م ،دار التوزيع والنشر الإسلامية..

(٢٠٧) مصنف عبد الرزاق الصنعاني، باب: البيات،٢٠٩/٥ ط: مؤسسة الرسالة، ومسند الإمام أحمد ٢٧/ ٢٩٢ برقم: ١٦٧٣٣، تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٤- **إنصاف أهل الذمة والمعاهدين:**

وفي تحريم الاعتداء على حقوق الذميين والمعاهدين والمستأمنين يقول النبي – صلَّى الله عليه وسلم – قال: (ألا مَن ظَلم مُعاهَداً أو انتَقصَهُ أو كلَّفَهُ فوقَ طاقَتِه أو أخَذ منهُ شيئاً بِغيرِ طِيبِ نَفسٍ فأنا حَجِيجُهُ يوم القيامةِ، وَمَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِيحَ الْجَنَّةِ) [٢٠٨] وعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّهُ قَالَ: «أُوصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِأَهْلِ الذِّمَّةِ خَيْرًا، أَنْ يُوفِيَ لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتِلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَأَنْ لَا يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ».[٢٠٩] وهذا يُعدُ غاية العدل والإنصاف مع غير المسلمين.

٥- وفي تحريم الظلم مطلقا حتى مع الكافرين وإنصاف المظلوم وإن كان كافراً أخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) [٢١٠] ولا يعارض هذا قول الله جل وعلا: **(وما دعاء الكافرين إلا في ضلال)**.[٢١١] فذلك في دعائهم للنجاة من نار الآخرة، أما دعاؤهم لطلب الانتصاف ممن ظلمهم في الدنيا كما جاء في الحديث فلا تنافيه هذه الآية".[٢١٢] قلت: فما أجمل هذا الدين الحنيف، وتلك الشريعة الغراء التي تنصف غير المؤمنين بها فتحمي حقوقهم المادية والمعنوية، وتقف إلى جانبهم حتى ترد إليهم مظالمهم.

٦- ويروي عبد الله بن عبيد بن عمير عن مقاضاة النبي صلى الله عليه و سلم يهود خيبر على أن لنا نصف التمر ولكم نصفه وتكفونا العمل حتى إذا طاب ثمرهم أتوا النبي صلى الله عليه و سلم فقالوا له : إن تمرنا قد طاب فابعث خارصا يخرص بيننا وبينك . فبعث النبي صلى الله عليه و سلم عبد الله بن رواحة فلما طاف في نخلهم فنظر إليه قال : والله ما أعلم من خلق الله أحداً أعظم فرية عند الله وعداء لرسول الله صلى الله عليه و سلم منكم، والله ما خلق الله أحداً أبغض إلي منكم، والله ما يحملني ذلك على أن أحيف عليكم مثقال ذرة وأنا أعلمها . قال : ثم خرصها جميعا، الذي له والذي لليهود بمائتي ألف وسق . فقالت اليهود : خربتنا . فقال ابن رواحة : إن شئتم فأعطونا أربعين ألف وسق في تسلمكم الثمرة وإنة

([٢٠٨]) سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، باب: (في الذمي يسلم في بعض السنة) ٦٥٨/٤، برقم:٣٠٥٢، والسنن الكبرى للبيهقي، باب: لا يأخذ المسلمون من ثمار أهل الذمة، ٩/ ٣٤٤، برقم: (١٨٧٣١).

([٢٠٩]) معرفة السنن والآثار لأحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨) ، باب: الوصاة بأهل الذمة خيرا، ٣٨٤/٣، برقم:(١٧٥٧٤).

(٢١٠) مسند الإمام أحمد، (مسند أنس بن مالك ، ١٥٣/٣برقم: ١٢٥٧١ وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف، ط مؤسسة قرطبة.

(٢١١) سورة الرعد الآية: (١٤)، وسورة غافر، الآية (٥٠).

(٢١٢) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ت(١١٢٢)، باب : ما يتقى من دعوة المظلوم، ٥٥٤/٤، دار الكتب العلمية ١٤١١هـ، بيروت.

شئتم أعطيناكم أربعين ألف وسق وتخرصون عنا . فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا : بهذا قامت السماوات والأرض وبهذا يغلبونكم" [٢١٣]

والشاهد في هذا أن ما أقسم عليه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :أنه . مع كونه . لا يعلم أحدا أعظم فرية عند الله وعداءاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود، وأنهم أبغض خلق الله إلى قلبه لكن ذلك لا يحمله أن يحيف عليهم مثقال ذرة، ولهذا قالوا: بهذا قامت السماوات والأرض وبهذا يغلبونكم.

٧- يروي جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - فيقول:كان بالمدينة يهودي، وكان يسلفني في تمري إلى الجِداد [٢١٤] وكانت لجابرٍ الأرض الَّتي بطريق رومة - فجلستُ، فخلا عامًا، فجاءني اليهوديُّ عند الجِداد، ولم أجدَّ منها شيئًا، فجعلتُ أستنظره إلى قابلٍ [٢١٥] فيأبى، فأُخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لأصحابه: "امْشُوا نَسْتَنْظِرْ لِجَابِرٍ مِنَ الْيَهُودِيِّ"، فجاؤوني في نخلي، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يُكلِّم اليهوديَّ، فيقول :أبا القاسم، لا أنظره .فلمَّا رأى النبي صلى الله عليه وسلم قام فطاف في النخل، ثمَّ جاءه فكلَّمه فأبى، فقمتُ فجئتُ بقليل رطبٍ فوضعته بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، فأكل ثمَّ قال» :أَيْنَ عَرِيشُكَ [٢١٦] يَا جَابِرُ؟ فأخبرتُه، فقال: افْرِشْ لِي فِيهِ .فَفَرَشْتُهُ، فدخل فرقد ثمَّ استيقظ، فجئتُه بقبضةٍ أخرى، فأكل منها ثمَّ قام فكلَّم اليهوديَّ فأبى عليه، فقام في الرِّطاب في النَّخل الثَّانية ثمَّ قال: "يَا جَابِرُ، جُدَّ وَاقْضِ"، فوقف في الجداد فجددت منها ما قضيته، وفضل منه، فخرجت حتى جئت النبي صلى الله عليه وسلم فبشَّرته، فقال: "أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ"). [٢١٧]

والشاهد في تلك الحادثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزد على أن طلب من اليهودي أن يُنظر جابر إلى العام القابل حتى يتمكن من السداد، وأنه أكثر من الكلام والاستشفاع له، لكن اليهودي بقي مصراً على الرفض بكل وسيلة، وهو يقول :أبا القاسم لا أُنظره !! فهذا موقف يتعرض له أحد الأصدقاء المقربين إلى قلب من يحكم المدينة المنورة بكاملها، في أزمة مع يهودي من رعايا هذه المدينة، إنه يريد تأجيل سداد الدين وليس المماطلة فيه أو التغاضي عنه ، والرسول بنفسه يستشفع له، واليهودي يرفض لكن السداد

---

(٢١٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر ، باب: المزارعة، ٤/ ١٢٣برقم:٦٦٠٠، طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢ هـ، الموافق ١٩٩٢ ميلادي. مصنف عبد الرزاق لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي – بيروت لطبعة الثانية ، ١٤٠٣ ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي.

(٢١٤) الجداد : زمن قطع النخيل. فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١/ ٩٧، ٥٦٧/٩)

(٢١٥) أستنظره إلى قابل: أستمهله إلى عام ثانٍ، فتح الباري لابن حجر العسقلاني(٥٦٨/٩).

(٢١٦) عريشك: أي المكان الذي اتخذته في البستان لتستظل به وتقيل فيه. فتح الباري لابن حجر العسقلاني(٩/ ٥٦٨).

(٢١٧) الحديث أخرجه البخاري ،كتاب: الأطعمة، باب: الرطب والتمر، ٢٠٧٤/٥ حديث رقم: (٥١٢٨) ط: دار ابن كثير.

واجب والاستشفاع مرفوض من صاحب الحق، فليكن السداد وليكن انصاف لليهودي غير المسلم ولو كان المقضي عليه صحابي وابن صحابي . جابر بن عبد الله رضي الله عنه . مع إعساره، إن هذا هو الإسلام حقاً: إن الشفقة على جابر لفقره لم تكن مبررا للحكم له ضد اليهودي ، ولم يكن مثل هذا الموقف تكلفاً من الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا تجملاً منه، إنما هو التطبيق العملي لقواعد الدين الذي أرسله الله به، وفضلا عما يكشف عنه هذا الموقف من قوة التأييد الإلهي لرسولنا الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم بخوارق العادات، وبركة استجابة الله تعالى لدعائه، فإنَّ هذا أيضاً من بركات إنصافه، وثمرات عدله بين الناس جميعاً أن فرَّج الله كربة جابر رضي الله عنه بفيض من عنده.

٨- ولعل من الأحاديث النبوية التي يفهم من فحواها الإنصاف مع المخالف مهما يكن أمره، والعدل مع من نبغض قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه في حديث الصدقة: (صدقك وهو كذوب)[٢١٨] فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعترف بصدق الشيطان ولو لمرة مع كونه كذوباً (دائم الكذب) فأولى بالمرء المسلم أن يعترف لمن يخالفه في اجتهاده أو في رأيه . أو حتى في دينه . بما له من مزايا ومكرمات، خاصة عندما يتعرض لمثالبه وعيوبه.

وبعد هذه النماذج الدالة على أنَّ الإنصاف كان خلقاً أصيلاً من أخلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله، وأنه ﷺ كان يربي عليه أصحابه، ويراقب تطبيقهم له، نزيد الأمر بياناً بذكر نماذج له في حياة أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

(٢١٨) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: من انتظر حتى تدفن٤/ ١٢٣، دار طوق النجاة، والبيهقي في شعب الإيمان باب: (١١) ٢/٤٥٧.

المبحث الخامس

نماذج من الإنصاف عند الاختلاف في تراثنا المجيد

من وجوه الإنصاف: العدل في ذكر المساوئ والمحاسن والموازنة بينها. فمن المعلوم أن أحداً لا يسلم من الخطأ لقول النبي: (كل بني آدم **خطاء**)[٢١٩]، لذلك ينبغي للمسلم إذا وصف غيره ألا يغفل المحاسن لوجود بعض المساوئ، كما لا ينبغي أن يدفن المحاسن ويذكر المساوئ لوجود عداوة أو شحناء بينه وبين من يصفه، فالله عز وجل أدبنا بأحسن الأدب وأكمله فقال: چ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ چ[٢٢٠].وحين نجد من يذم غيره بذكر مساوئه، وغض النظر عن محاسنه، فإن ذلك يرجع في العادة إلى حسد أو بغضاء، أو إلى ظنون وتراكمات سابقة، أو إلى تنافس مذموم، إلى غير ذلك. لكن أهل الإنصاف هم الذين يذكرون المرء بما فيه من خير أو شر ولا يبخسونه حقه، ولو كان الموصوف مخالفاً لهم في الدين والاعتقاد أو في المذهب والانتماء. يقول ابن رجب الحنبلي : (والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه). [٢٢١]

والإسلام له منهجه في الحكم على الرجال والأعمال، فهو يأمر بالشهادة بالقسط، والعدل في الحكم على الناس دون مسايرة الهوى في شنآن أو في محبة، ويأمر باتباع العلم لا الظن، وتمحيص الخبر والتثبت فيه أن يصاب قوم بجهالة، وهذا في حق كل الناس.

وإليك نماذج ـ من تراثنا الإسلامي ـ في الإنصاف:

نموذج من إنصاف الصحابة بعضهم بعضاً:

ولنا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النموذج الأمثل بعد رسول الله ﷺ :

ومما يجب أن يقال في الرد على الحاقدين الكارهين الخير لأمة الإسلام، الذين يحاولون تشويه الصفوة المؤمنة من أصحاب رسول الله الذين رباهم على عينه، واختارهم لصحبة نبيه، ممن عمدوا إلى تضخيم الخلافات الطبيعية التي حدثت بين بعضهم، أو بتوجيهها وجهة تتنافى مع ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من عالي الصفات، وكريم الأخلاق. من ذلك ما قيل من ادعاءات في أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة، وأن أبا بكر رضي الله عنه اغتصبها رغما عنه إلى غير ذلك من ترهات تتعارض مع العقل والواقع.

---

(٢١٩) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٢٤٤/٤ وقال صحيح الإسناد، ط الهندية وابن ماجة في سننه باب: ذكر التوبة، ١٤٢٠/٢ وقال الألباني حديث حسن، ط دار الفكر، والبيهقي في شعب الإيمان، فصل : ترك المماراة في القرآن ٥/ ٤٢٠ .

(٢٢٠) سورة هود آية ٨٥.

(٢٢١) مقدمة كتاب: (القواعد في الفقه الإسلامي) للإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى : ٧٩٥هـ) ص(٣)،تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية.

فلندع بعض المرويات تخبرنا بما كان منهم من مواقف تدل على عظيم إخلاصهم وتجردهم وإنصاف بعضهم لبعض، من ذلك:

١. ما رواه ابن عساكر عن سويد بن غفلة قال : دخل أبو سفيان على علي والعباس رضي الله عنهم فقال: يا علي وأنت يا عباس، ما بال هذا الأمر في أذل قبيلة من قريش وأقلها ؟ والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً، فقال له علي: لا والله ما أريد أن تملأها عليه خيلاً ورجالاً، ولولا أنا رأينا أبا بكر لذلك أهلا ما خليناه وإياه، يا أبا سفيان: إن المؤمنين قوم نَصَحة، بعضهم لبعض متوادون، وإن بعدت ديارهم وأبدانهم، وإن المنافقين قوم غششة بعضهم لبعض".(٢٢٢) أليس في ذلك أبلغ رد وأقوم حجة على من زعم أحقية علي بالخلافة، وأنَّ أبا بكر وعمر اغتصباها من علي، وأنَّ عليا كان كارها لخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين، أو ما زعموه زوراً من أن النبي ﷺ كتب كتاباً أوصى فيه لعلي رضي الله عنه بالخلافة من بعده، أو همَّ أن يكتب بذلك، كل هذه الترهات لا أساس لها من الصحة، ومواقف الصحابة وأقوالهم تكذبها.

٢وعن علي رضي الله عنه: قال : ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر. ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر عمر"(٢٢٣)

٣. وعن محمد بن الحنفية قال قلت لأبي : أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ قال أبو بكر قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت ؟ قال ما أنا إلا رجل من المسلمين" (٢٢٤)

٤ . بل قال علي رضي الله عنه: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري"(٢٢٥)

فهل أصرح من ذلك وأوضح في بيان علاقة الحب والتآزر بين الصحب الكرام ، والترابط والتعاون على حمل أمانة الرسالة بعد رسول الله ﷺ ، ، وتجردهم من العصبية والأنانية وإنصاف بعضهم بعضاً في الحق، وأنهم لم يكونوا طلاب دنيا ولا جاه أو سلطان، لأنهم كانوا يرون الخلافة حملاً ثقيلاً، ومغرماً لا مغنماً، فضلاً عن كونهم أصحاب رسالة.

---

(٢٢٢) كنز العمال ج ٣، ص١٤١، وانظر كتاب المرتضى لأبي الحسن الندوي ص٨٨ وما بعدها) ط : الأولى١٤٠٩هـ١٩٨٩م دار القلم .

(٢٢٣) مسند الإمام أحمد ١/ ١٠٦ وما بعدها وصحح أحمد شاكر معظم طرق الحديث .

(٢٢٤) (أخرجه البخاري في صحيحه، باب: لو كنت متخذاً خليلا..) ٤٣١/١٢.، وسنن أبي داود، باب: في التفضيل، ٣٧٧/٤ط دار الكتاب العربي،

(٢٢٥) فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (١/ ٨٣) ط الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة، و(كنز العمال) ١٣/ ٢٧ برقم: (٣٦١٥٧) .

نماذج من إنصاف الفقهاء لبعضهم:

اختلف فقهاء الإسلام من أصحاب المذاهب في اجتهاداتهم ولم يقف اختلافهم حائلاً دون إجلال بعضهم بعضاً، واعتراف كل منهم بفضل الآخر، وتصدرهم بذلك أعلى قمة في أدب الخلاف مما يجعلهم في ذلك مضرب المثل والقدوة، من ذلك:

١. ما قاله أحمد بن حنبل – : ما أحد يحمل محبرة من أصحاب الحديث إلا وللشافعي عليه سنة. وقال: ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالسته. وقال أحمد –أيضاً –: كان الشافعي أفقه الناس في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ ، وكان قليل الطلب للحديث وقال: كان الشافعي للعلم كالشمس للدنيا، والعافية للناس، فانظر هل من هذا عوض؟. وقال ابن معين لصالح بن أحمد بن حنبل: ما يستحي أبوك؟ رأيته مع الشافعي والشافعي راكب وهو راجل، ورأيته وقد أخذ بركابه. وقال صالح نقلت هذا لأبي فقال لي: قل له: إن أردت أن تتفقه فخذ بركابه الآخر"(٢٢٦).

وقال عبد الله بن حنبل: قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ فقال: يا بني، كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن، هل لهذين من خلف، أو عنهما من عوض، وقال أحمد: ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له، وقال يحيى بن معين: كان أحمد بن حنبل ينهانا عن الشافعي، ثم استقبلته يوما والشافعي راكب بغلة وهو يمشي خلفه، فقلت: يا أبا عبد الله، تنهانا عنه وتمشي خلفه فقال: اسكت، لو لزمت البغلة انتفعت"(٢٢٧).

٢. إنصاف مالك بن أنس إمام دار الهجرة:

ومن عجيب ما تناقلته الكتب من مواقف عملية في الإنصاف والتجرد من حظوظ النفس وشهواتها عن الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة [٢٢٨]من رفضه دعوة أبي جعفر المنصور نَسْخ نُسَخٍ من كتابه: (الموطأ) وتعميمها وجمع الناس عليها، ما كان يمكن– لولم ينصف – أن يقبل لأنَّ هذا: في مصلحة الإسلام والمسلمين، وقطع لأسباب الفرقة، لكنه هذا الموقف الذي يعد غاية في الإنصاف لمن فهم"[٢٢٩].

٣. الإمام الذهبي نموذج للإنصاف في الجرح والتعديل

ومن العلماء الذين اشتهروا بالإنصاف لمخالفيهم، حتى صاروا فيه للناس مضرب المثل والقدوة: الحافظ الذهبي – رحمه الله– فمن خلال كتابه القيم: (سير أعلام النبلاء) الذي ترجم فيه لعدد من العلماء

---

(٢٢٦) الديباج المذهب في معرفة أعيان أهل المذهب ، محمد أبو ثابت بن عبد الله ١/١٢٦)

(٢٢٧) وفيات الأعيان فصل في: (الإمام الشافعي) ٤/ ١٦٤.

(٢٢٨) ذكرت موقف الإمام مالك – مفصلاً في المبحث الثاني.

(٢٢٩) راجع: جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، فصل: (الإنصاف في العلم) ٢/ ٢٥٨، ط الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، تحقيق فواز أحمد مؤسسة الريان . دار ابن حزم.

الأجلاء، وكذلك لعدد ممن اشتهر بين الناس وكان من أهل البدع أو الفسق أو الإلحاد، تجده لم يبخس أحدا فيما لهم من صفات حسنة، بل أنصف فذكر لكل من ترجم له بذكر ما لهم وما عليهم. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك منها:

١- قال عن عبد الوارث بن سعيد: (وكان عالماً مجوداً ، ومن أهل الدين والورع ، إلا أنه قدري مبتدع) [٢٣٠]

٢- وقال عن الحكم بن هشام: (وكان من جبابرة الملوك وفساقهم، ومتمرديهم، وكان فارساً، شجاعاً، وكان ذا دهاء وعتوٍ وظلم ، تملك سبعاً وعشرين سنة) [٢٣١]

٣- وقال عن الواقدي: (والواقدي وإن كان لا نزاع في ضعفه فهو صادق اللسان، كبير القدر)[٢٣٢]،

٤- وقال عن المأمون [٢٣٣] الذي تبنى فتنة القول بخلق القرآن وامتحن علماء أهل السنة بذلك: (وكان من رجال بني العباس حزماً، وعزماً ، ورأيا، وعقلا، وهيبة، وحلما، ومحاسنه كثيرة في الجملة"[٢٣٤].

ومنهج الذهبي . رحمه في الإنصاف في وصف الآخرين، منهج علمي دقيق، ينسجم مع المنهج الإسلامي الرشيد في الحكم على الآخرين؛ لذلك ينبغي لكل من رام الإنصاف أن لا يحيد عن هذا المنهج السوي، والميزان العادل فإن العبرة بكثرة الفضائل، وكما قيل: فإن الماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث [٢٣٥] ، فمن غلبت فضائله هفواته اغتفر له ذلك وصدق الله رب العالمين: چ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ چ[٢٣٦].

نماذج تاريخية لإنصاف المسلمين لأهل الذمة:

يقول الشيخ محمد الغزالي: "معاملة المسلمين لأهل الذمة والمستأمنين جاءت متفقة مع توصيات النبي صلى الله عليه وسلم بأهل الذمة خيراً، متسقة مع تلك القاعدة الأصيلة المتفق عليها: (لهم ما لنا وعليهم

---

(٢٣٠) سير أعلام النبلاء (٨/٣٠١) للإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

(٢٣١) سير أعلام النبلاء (٨/٢٥٤).

(٢٣٢) سير أعلام النبلاء (٧/١٤٢).

(٢٣٣) المأمون: عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي أبو العباس، ولد سنة سبعين ومائة وقرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل وأمر بتعريب كتبهم وبالغ ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ. مات سنة ثمان وعشرة ومائتين. سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٢).

(٢٣٤) سير أعلام النبلاء باب: المأمون الخليفة (١٠/ ٢٧٣).

(٢٣٥) لحديث : (إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث) سنن الترمذي ، باب (إذا بلغ الماء قلتين.. الخ) ١/ ٩٧ برقم. ٦٧ ، وسنن أبي داود السجستاني، ١/ ٢٣ ، برقم: ٦٣، دار الكتاب العربي . بيروت

(٢٣٦) سورة هود من الآية: ١١٤.

ما علينا) [٢٣٧]، ولم يضطرب تطبيقها على مر الأزمنة، إلا فلتات شاذة لا يبنى عليها حكم ، ولا يجوز الاكتراث بها ، وقد استقرت الأقليات في الشرق الإسلامي دهورا في ظل هذا المبدأ العادل، بينما بادت الأقليات الإسلامية في الغرب ؛ لأنها لم تجد مثل هذه المعاملة النبيلة.

وبلغ من إنصاف المسلمين لأهل الذمة أن اعتبروهم جزءا من الرعية الإسلامية مع احتفاظهم بعقيدتهم. ومن ثم جاء عقد المعاهدت الخارجية ممثلا فيها المسلمين والذميين معا كأمة واحدة. ١. روى أبو يوسف في كتاب الخراج: " لما صالح عبد الله بن أبي السرح ملك النوبة، تقرر في الصلح أنه أمان وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين وأهل الذمة ممن جاوروهم من أهل صعيد مصر. وأخذ النوبيون على أنفسهم العهد بحماية من نزل ببلدهم أو طرقه من مسلم أو معاهد[٢٣٨].

٢. ضمان المسلمين لأهل الذمة حماية مصالحهم واستمتاعهم بحريتهم الدينية:

وإليك نص المعاهدة التي أمضاها عمر بن الخطاب مع رسل " سفرنيوس" أسقف بيت المقدس كنموذج لموقفه مع المسيحيين، إذ قال .كما روى الطبري:

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر بن الخطاب أميرالمؤمنين أهل "إيليا"من الأمان:

أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا تنتقص منها ولا من غيرها، و من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود" الخ المعاهدة[٢٣٩]. فأي إنصاف وعدل بعد هذا ، وأي احترام وتقدير لحقوق المواطنة التي ينعم بها كل فرد في الدولة دون نظر لعقيدته ودينه، أيحق لغر مغرور بعد هذا أن يلبس على الناس مدعياً إن المسلمين ظلموا مخالفيهم في العقيدة ونبذوهم، وأنهم لم يشركوهم في شؤون الدولة ، ما هذا إلا محض افتراء يرفضه الواقع، وتكذبه حقائق التاريخ [٢٤٠] .

---

(٢٣٧) هذه قاعدة اتفق عليها العلماء ، وأصلها حديث اختلف في تصحيحه وتضعيفه، انظر: فيض الباري شرح صحيح البخاري للشيخ أمالي محمد أنور شاه الكشميري، باب: في كتابة العلم، ٢٩٨/١ ط الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م دار الكتب . بيروت، وحاشية السندي على ابن ماجة، ٥/ ٣١٢، باب : لايقتل مسلم بكافر ط: الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.

(٢٣٨) الخراج لأبي يوسف،(الوصاة بأهل الذمة ص١٣٨،ط المكتبة الأزهرية للتراث ١٤٢٠-١٩٩٩م، و (التعصب والتسامح) للغزالي ص٤٣، ٤٤.

(٢٣٩) تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري) باب: ذكر فتح بيت المقدس٢/ ٢٤٩.

(٢٤٠) يراجع في هذا . من أراد المزيد: (التعصب والتسامح) للعلامة الشيخ محمد الغزالي.

المبحث السادس :

سلوكيات تتعارض مع الإنصاف

١- من أشنع ما يتعارض مع الإنصاف: تتبع عثرات العلماء، وتضخيم هفواتهم؛ إذ أنَّ العلماء هم رموز الأمة ومحط أنظارها، وتعظيم قدرهم فطرة جبلت عليها النفوس، والعلماء لهم خصوصية في التعامل معهم عامة، وفي ذكر هفواتهم خاصة، لذا يقول سعيد بن المسيب –: "ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله"[٢٤١] ، وهذا هو ميزان الإنصاف والاعتدال في عدالة الرواة يقول ابن القيم –رحمه الله: "قد يُغلط في مسمى العدالة، فَيُظَن أن المراد بالعدل: من لا ذنب له. وليس كذلك، بل هو عدلٌ مؤتمن على الدين، وإن كان منه ما يتوب إلى الله منه، فإن هذا لا ينافي العدالة، كما لا يُنافي الإيمان والولاية"[٢٤٢] .

فليس من الإنصاف أن تهدر جهود عالم أو فضائله من أجل هفوة أو خطأ عابر، لا ندري أسبابه وظروفه وملابساته. "فإذا عثر المرء على شيء لا يمكن حمله على وجه صحيح، فحينئذ ينبغي أن ينبه عليه بتعريض أو تصريح متمسكاً بذيل العدل والإنصاف، مجتنباً عن الغي والاعتساف؛ لأن الإنسان محل النسيان، والقلم ليس معصوماً من الطغيان،.. ومن أدب المتأخرين مع المتقدمين – تعظيماً لحقهم، ولئلا يفسدوا اعتقاد المبتدئين فيهم – أنهم ربما حملوا هفواتهم على غلط النسَّاخين، أو ربما قالوا: أنهم لفرط اهتمامهم بالمباحثة والإفادة لم يفرغوا لتكرير النظر والإعادة".[٢٤٣] أقول: بل من حق العلماء علينا أن نستغفر لهم وندعوا مع استغفارنا ودعائنا لأنفسنا.

٢- ومما يتعارض مع الإنصاف: أن يتأثر المرء في الحكم على الآخرين بحب أو كراهية، أو يختلف حكمه على اثنين مع الاتفاق بينهما في الحالة والظروف والملابسات، وهو ما جرى تسميته: بـ (الكيل بمكالين) ولهذا كان من دعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم: (وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب) وقي رواية: (العدل في الرضا والغضب)[٢٤٤] .

٣- أن تقبل الفعل من إنسان، بينما ترفضه من آخر لكراهيتك إياه، وهذا عين الكبر الذي وصفه النبي

---

(٢٤١) الكفاية في علم الرواية لأحمد بن علي بن ثابت أبو بكر (الخطيب البغدادي) ١/ ٧٩، المكتبة العلمية – المدينة المنورة

تحقيق : أبو عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدن.

(٢٤٢) مفتاح دار السعادة١/ ١٦٣.

(٢٤٣) النص مختصراً من (كشف الظنون) لحاجي خليفة (١/ ٣٧، ٣٨) .

(٢٤٤) سبق تخريجه في مبحث الإنصاف في السنة.

صلى الله عليه وسلم بقوله: (الكبر بطر الحق وغمط الناس) [٢٤٥] .

٤- النظر إلى مساوئ الآخرين ونشرها، وغض الطرف عن محاسنهم ، وهذا عين الظلم وغمط الناس ، وقد نهى الله تعالى ونهى رسوله ﷺ عن مثل ذلك.

٥- الحكم على الناس بالظنة، وترداد الإشاعات التي يتداولها الناس بغير بينة ولا علم، لقوله ﷺ: (إياكم والظن فإنه أكذب الحديث) [٢٤٦]وليس المنهي عنه قطعا ورود الخواطر التي لا يستطيع الإنسان التخلص منها، بل بناء الأحكام عليها، والتحدث بذلك دون دليل، وهذا أكذب الحديث.

٦- اللدد في الخصومة مما يتنافى مع الإنصاف: ومما ذمه القرآن الكريم واشتد في النكير على فاعله، وعده من صفات المنافقين، يقول تبارك وتعالى: (وهو ألد الخصام) [٢٤٧] والألد في اللغة هو الأعوج (وتنذر به قوما لدا)[٢٤٨] أي عوجاً، واللدد في الخصومة معناه: البغي والتعدي على الخصم باليد أو باللسان بغياً وظلماً، أو هو الفجور في الكيد للخصم، وذلك مناف للإنصاف الذي أمر الله به ورسوله ﷺ ، وهذا حال المنافق في حال خصومته يكذب ويَزْوَر عن الحق، ولا يستقيم معه، بل يفتري ويكذب، ويستبيح المنكرات والحرمات موجداً لنفسه ما يهوى من المبررات والمسوغات، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر) وفيه أيضا عن عائشة رضي الله عنها ترفعه قال ﷺ: (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم).[٢٤٩]

٧- التعميم في الحكم مما يتنافى مع الإنصاف والعدل: فلا يجوز الحكم على أمة بأكملها، ولا على شعب بكل طوائفه، ولا على جماعة من الناس بكل أفرادها، ولا على حضارة أمة بكل ما فيها؛ فقد علمنا القرآن: الإنصاف والعدل في الحكم على الآخرين، حتى مع غير المسلمين قال تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ︀ ︁ ︂ ︃ ︄ ︅ ︆ ︇ ︈ ︉ ︊ ︋ ︌ ︍ ︎ ️ ︐ ︑ ︒ ︓ ︔ ︕ ︖ ︗ ︘ ︙ ︚ ︛ ︜ ︝ ︞ ︟ ︠ ︡ ︢ ︣ ︤ ︥ ︦ ︧ ︨ ︩ ︪ ︫ ︬ ︭ ︮ ︯ ︰ ︱ ︲ ︳ ︴ ︵ ︶ ︷ ︸ ︹ ︺ ︻ ︼ ︽ ︾ ︿ ﹀ ﹁ ﹂ ﹃ ﹄ ﹅ ﹆ ﹇ ﹈ ﹉ ﹊ ﹋ ﹌ ﹍ ﹎ ﹏ ﹐ ﹑ ﹒ ﹓ ﹔ ﹕ ﹖ ﹗ ﹘ ﹙ ﹚ ﹛ ﹜ ﹝ ﹞ ﹟ ﹠ ﹡ ﹢ ﹣ ﹤ ﹥ ﹦ ﹧ ﹨ ﹩ ﹪ ﹫ ﹬ ﹭ ﹮ ﹯ ﹰ ﹱ ﹲ ﹳ ﹴ ﹵ ﹶ ﹷ ﹸ ﹹ ﹺ ﹻ ﹼ ﹽ ﹾ ﹿ ﺀ ﺁ ﺂ ﺃ ﺄ ﺅ ﺆ ﺇ ﺈ ﺉ ﺊ ﺋ ﺌ ﺍ ﺎ ﺏ ﺐ ﺑ ﺒ ﺓ ﺔ ﺕ ﺖ ﺗ ﺘ ﺙ ﺚ ﺛ ﺜ ﺝ ﺞ ﺟ ﺠ ﺡ ﺢ ﺣ ﺤ ﺥ ﺦ ﺧ ﺨ ﺩ ﺪ ﺫ ﺬ ﺭ ﺮ ﺯ ﺰ ﺱ ﺲ ﺳ ﺴ ﺵ ﺶ ﺷ ﺸ ﺹ ﺺ ﺻ ﺼ ﺽ ﺾ ﺿ ﻀ ﻁ ﻂ ﻃ ﻄ ﻅ ﻆ ﻇ ﻈ ﻉ ﻊ ﻋ ﻌ ﻍ ﻎ ﻏ ﻐ ﻑ ﻒ ﻓ ﻔ ﻕ ﻖ ﻗ ﻘ ﻙ ﻚ ﻛ ﻜ ﻝ ﻞ ﻟ ﻠ ﻡ ﻢ ﻣ ﻤ ﻥ ﻦ ﻧ ﻨ ﻩ ﻪ ﻫ ﻬ ﻭ ﻮ ﻯ ﻰ ﻱ ﻲ ﻳ ﻴ ﻵ ﻶ ﻷ ﻸ ﻹ ﻺ ﻻ ﻼ ﻽ ﻾ ＀ ！ ＂ ＃ ＄ ％ ＆ ＇ （ ） ＊ ＋ ， － ． ／ ０ １ ２ ３ ４ ５ ６ ７ ８ ９ ： ； ＜ ＝ ＞ ？ ＠ Ａ Ｂ Ｃ Ｄ Ｅ Ｆ Ｇ Ｈ Ｉ Ｊ Ｋ Ｌ Ｍ Ｎ Ｏ Ｐ Ｑ Ｒ Ｓ Ｔ Ｕ Ｖ Ｗ Ｘ Ｙ Ｚ ［ ＼ ］ ＾ ＿ ｀ ａ ｂ ｃ ｄ ｅ ｆ ｇ ｈ ｉ ｊ ｋ ｌ ｍ ｎ ｏ ｐ ｑ ｒ ｓ ｔ ｕ ｖ ｗ ｘ ｙ ｚ ｛ ｜ ｝ ～ ｟ ｠ ｡ ｢ ｣ ､ ･ ｦ ｧ ｨ ｩ ｪ ｫ ｬ ｭ ｮ ｯ ｰ ｱ ｲ ｳ ｴ ｵ ｶ ｷ ｸ ｹ ｺ ｻ ｼ ｽ ｾ ｿ ﾀ ﾁ ﾂ ﾃ ﾄ ﾅ ﾆ ﾇ ﾈ ﾉ ﾊ ﾋ ﾌ ﾍ ﾎ ﾏ ﾐ ﾑ ﾒ ﾓ ﾔ ﾕ ﾖ ﾗ ﾘ ﾙ ﾚ ﾛ ﾜ ﾝ ﾞ ﾟ ﾠ ﾡ ﾢ ﾣ ﾤ ﾥ ﾦ ﾧ ﾨ ﾩ ﾪ ﾫ ﾬ ﾭ ﾮ ﾯ ﾰ ﾱ ﾲ ﾳ ﾴ ﾵ ﾶ ﾷ ﾸ ﾹ ﾺ ﾻ ﾼ ﾽ ﾾ ﾿ ￀ ￁ ￂ ￃ ￄ ￅ ￆ ￇ ￈ ￉ ￊ ￋ ￌ ￍ ￎ ￏ ￐ ￑ ￒ ￓ ￔ ￕ ￖ ￗ ￘ ￙ ￚ ￛ ￜ ￝ ￞ ￟ ￠ ￡ ￢ ￣ ￤ ￥ ￦ ￧ ￨ ￩ ￪ ￫ ￬ ￭ ￮ ￯ ￰ ￱ ￲ ￳ ￴ ￵ ￶ ￷ ￸ ￹ ￺ ￻ ￼ � ￾ ￿ ﭼ [٢٥٠] وقال جل شأنه: ﭽ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ﮸ ﮹ ﮺ ﮻ ﮼ ﮽ ﮾ ﮿ ﯀ ﯁ ﯂ ﯃ ﯄ ﯅ ﯆ ﯇ ﯈ ﯉ ﯊ ﯋ ﯌ ﯍ ﯎ ﯏ ﯐ ﯑ ﯒ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ︀ ︁ ︂ ︃ ︄ ︅ ︆ ︇ ︈ ︉ ︊ ︋ ︌ ︍ ︎ ️ ︐ ︑ ︒ ︓ ︔ ︕ ︖ ︗ ︘ ︙ ︚ ︛ ︜ ︝ ︞ ︟ ︠ ︡ ︢ ︣ ︤ ︥ ︦ ︧ ︨ ︩ ︪ ︫ ︬ ︭ ︮ ︯ ︰ ︱ ︲ ︳ ︴ ︵ ︶ ︷ ︸ ︹ ︺ ︻ ︼ ︽ ︾ ︿ ﹀ ﹁ ﹂ ﹃ ﹄ ﹅ ﹆ ﹇ ﹈ ﹉ ﹊ ﹋ ﹌ ﹍ ﹎ ﹏ ﹐ ﹑ ﹒ ﹓ ﹔ ﹕ ﹖ ﹗ ﹘ ﹙ ﹚ ﹛ ﹜ ﹝ ﹞ ﹟ ﹠ ﹡ ﹢ ﹣ ﹤ ﹥ ﹦ ﹧ ﹨ ﹩ ﹪ ﹫ ﹬ ﹭ ﹮ ﹯ ﹰ ﹱ ﹲ ﹳ ﹴ ﹵ ﹶ ﹷ ﹸ ﹹ ﹺ ﹻ ﹼ ﹽ ﹾ ﹿ ﺀ ﺁ ﺂ ﺃ ﺄ ﺅ ﺆ ﺇ ﺈ ﺉ ﺊ ﺋ ﺌ ﺍ ﺎ ﺏ ﺐ ﺑ ﺒ ﺓ ﺔ ﺕ ﺖ ﺗ ﺘ ﺙ ﺚ ﺛ ﺜ ﺝ ﺞ ﺟ ﺠ ﺡ ﺢ ﺣ ﺤ ﺥ ﺦ ﺧ ﺨ ﺩ ﺪ ﺫ ﺬ ﺭ ﺮ ﺯ ﺰ ﺱ ﺲ ﺳ ﺴ ﺵ ﺶ ﺷ ﺸ ﺹ ﺺ ﺻ ﺼ ﺽ ﺾ ﺿ ﻀ ﻁ ﻂ ﻃ ﻄ ﻅ ﻆ ﻇ ﻈ ﻉ ﻊ ﻋ ﻌ ﻍ ﻎ ﻏ ﻐ ﻑ ﻒ ﻓ ﻔ ﻕ ﻖ ﻗ ﻘ ﻙ ﻚ ﻛ ﻜ ﻝ ﻞ ﻟ ﻠ ﻡ ﻢ ﻣ ﻤ ﻥ ﻦ ﻧ ﻨ ﻩ ﻪ ﻫ ﻬ ﻭ ﻮ ﻯ ﻰ ﻱ ﻲ ﻳ ﻴ ﻵ ﻶ ﻷ ﻸ ﻹ ﻺ ﻻ ﻼ ﻽ ﻾ ＀ ！ ＂ ＃ ＄ ％ ＆ ＇ （ ） ＊ ＋ ， － ． ／ ０ １ ２ ３ ４ ５ ６ ７ ８ ９ ： ； ＜ ＝ ＞ ？ ＠ Ａ Ｂ Ｃ Ｄ Ｅ Ｆ Ｇ Ｈ Ｉ Ｊ Ｋ Ｌ Ｍ Ｎ Ｏ Ｐ Ｑ Ｒ Ｓ Ｔ Ｕ Ｖ Ｗ Ｘ Ｙ Ｚ ［ ＼ ］ ＾ ＿ ｀ ａ ｂ ｃ ｄ ｅ ｆ ｇ ｈ ｉ ｊ ｋ ｌ ｍ ｎ ｏ ｐ ｑ ｒ ｓ ｔ ｕ ｖ ｗ ｘ ｙ ｚ ｛ ｜ ｝ ～ ｟ ｠ ｡ ｢ ｣ ､ ･ ｦ ｧ ｨ ｩ ｪ ｫ ｬ ｭ ｮ ｯ ｰ ｱ ｲ ｳ ｴ ｵ ｶ ｷ ｸ ｹ ｺ ｻ ｼ ｽ ｾ ｿ ﾀ ﾁ ﾂ ﾃ ﾄ ﾅ ﾆ ﾇ ﾈ ﾉ ﾊ ﾋ ﾌ ﾍ ﾎ ﾏ ﾐ ﾑ ﾒ ﾓ ﾔ ﾕ ﾖ ﾗ ﾘ ﾙ ﾚ ﾛ ﾜ ﾝ ﾞ ﾟ ﾠ ﾡ ﾢ ﾣ ﾤ ﾥ ﾦ ﾧ ﾨ ﾩ ﾪ ﾫ ﾬ ﾭ ﾮ ﾯ ﾰ ﾱ ﾲ ﾳ ﾴ ﾵ ﾶ ﾷ ﾸ ﾹ ﾺ ﾻ ﾼ ﾽ ﾾ ﾿ ￀ ￁ ￂ ￃ ￄ ￅ ￆ ￇ ￈ ￉ ￊ ￋ ￌ ￍ ￎ ￏ ￐ ￑ ￒ ￓ ￔ ￕ ￖ ￗ ￘ ￙ ￚ ￛ ￜ ￝ ￞ ￟ ￠ ￡ ￢ ￣ ￤ ￥ ￦ ￧ ￨ ￩ ￪ ￫ ￬ ￭ ￮ ￯ ￰ ￱ ￲ ￳ ￴ ￵ ￶ ￷ ￸ ￹ ￺ ￻ ￼ � ￾ ￿ ﭼ [٢٥١].

---

(٢٤٥) سبق تخريجه.

(٢٤٦) سبق تخريجه

(٢٤٧) سورة البقرة آية: ٢٠٤.

(٢٤٨) سورة مريم آية: ٩٧.

(٢٤٩) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٥٦٣/١ والحديث أخرجه البخاري، باب: (في الألد الخصم) ٦/ ٢٦٢٨، برقم ٢٣٢٥ ، دار ابن كثير ط الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م تحقيق مصطفى البغا، وصحيح مسلم ، باب: (الألد الخصم) ٤/ ٢٠٥٤ برقم: ٢٦٦٨، دار إحياء التراث العربي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي..

(٢٥٠) سورة آل عمران، آية: ١١٣

(٢٥١) سورة آل عمران ، آية ٧٥.

هذه . في نظري أهم الأمور التي تعارض الإنصاف، وينبغي على المرء أن يتنزه عنها حتى يكون ممن يحبهم الله بحبه يقول تعالى: چ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ چ.[٢٥٢]

(٢٥٢)

المبحث السابع:

أثر الإنصاف في الحياة الإنسانية

أولاً: أثره على الفرد: عندما يصبح الإنصاف خلقاً شائعا في المجتمع يُنشأُ عليه الصغير، ويتأدب عليه التلميذ، ويلتزم به المعلم، ويصبح ديدن المربي والصحفي والقاضي والصانع والمسؤول ، ويرى المواطن في وطنه ألا تمايز ولا محاباة، حينئذ يشعر الفرد بقيمته وكرامته في مجتمعه، وينعم الفرد . رجلاً كان أو امرأة مسلما كان أو غير مسلم . بالأمن والطمأنينة على نفسه وعرضه وماله من حقوق من بقية أفرد المجتمع ، ومن الدولة ومؤسساتها، وأنه لن يغبن في حق طبيعي كفله له الإسلام، وكفله القانون الذي لا يجامل ولا يحابي أحدا على أحد، وتقوى عند الفرد قيمة حب الوطن و صدق الإنتماء إليه.

ثانياً أثره على الأسرة: وبالإنصاف تتولد حسن العشرة، ودوام الألفة، والتئام الشمل، والرضا الذي يثمر السعادة الزوجية وترابط الأسرة . حتى لو تعكر صفو المحبة بشيء من الخلاف يبقى العدل والإنصاف حدا أدنى لا ينزل عنه المسلم والمسلمة . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفرك مؤمن مؤمنة : إن كره منها خلقا رضي منها آخر »[٢٥٣].هذا الإرشاد النبوي الكريم للزوج في معاشرة زوجته من أكبر الأسباب والدواعي إلى حسن العشرة بالمعروف ، فنهى المؤمن عن سوء عشرته لزوجته . والنهي عن الشيء أمر بضده . وأمره أن يلحظ ما فيها من الأخلاق الجميلة ، والأمور التي تناسبه، وأن يجعلها في مقابلة ما كره من أخلاقها فإن الزوج إذا تأمل ما في زوجته من الأخلاق الجميلة ، والمحاسن التي يحبها ، ونظر إلى السبب الذي دعاه إلى التضجر منها وسوء عشرتها ، رآه شيئا واحدا أو اثنين مثلا ، وما فيها مما يحب أكثر . فإذا كان منصفا غض عن مساوئها لاضمحلالها في محاسنها .

وبهذا : تدوم الصحبة ، وتؤدى الحقوق الواجبة والمستحبة . وربما أن ما كره منها تسعى بتعديله أو تبديله . وأما من غض عن المحاسن ، ولحظ المساوئ ولو كانت قليلة ، فهذا من عدم الإنصاف . ولا يكاد يصفو مع زوجته[٢٥٤]ا

ثالثاً: أثره على المجتمع: بالعدل والإنصاف يعيش الناس في أمن واستقرار، وألفة ووئام، لا تفرق بينهم الإحن والعداوات، ولا يأكل قلوبهم الحقد والبغضاء بسبب التمييز والمحسوبيات، ولا يصبح الناس طبقات، يعفى عن الشريف، ويجحد حق الضعيف، ولا يمكن الوضيع ، تلك الحال التي حذر منها النبي ﷺ فَقَالَ:

---

(٢٥٣) رواه مسلم ، باب: الوصية بالنساء ٢/ ١٠٩١، برقم : ١٤٦٩

(٢٥٤) انظر: (بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، م.س ،١/ ١٧٥).

(أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَأَيْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا). (٢٥٥)

وفي ظلال العدل والإنصاف لا يجسر قوى على بغي، ولا يَفرَق ضعيف على حق، بل يصبح الضعيف قوياً حتى يأتيه حقه، والقوي ضعيفاً حتى ينتزع منه الحق، والمُبغَض المنبوذ لا يحيف عليه أحد ولو كان ذا سلطان، فيصبح المجتمع ويمسي كل فرد فيه محفوظ الكرامة، بريء الذمة حتى تثبت البينة على جرمه. رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي مَرْيَمَ السَّلُولِيِّ ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ زَيْدًا : وَاَللَّهِ إنِّي لَا أُحِبُّك حَتَّى تُحِبَّ الْأَرْضُ الدَّمَ. قَالَ : أَفَيَمْنَعُنِي ذَلِكَ حَقًّا ؟ قَالَ : لَا .قَالَ : فَلَا ضَيْرَ ، إنَّمَا يَأْسَى عَلَى الْحُبِّ النِّسَاءُ .) (٢٥٦)

بالإنصاف يعيش الناس في ظل شريعة الإسلام إخوة متحابين، تظللهم راية الأخوة الإنسانية، والبر والمعروف، والتعاون والتكامل، ويتحقق السلم الاجتماعي الذي يهدف الإسلام إليه بتشريعاته السمحة: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﭼ الآية(٢٥٧)

وبعدم الإنصاف ينشأ الظلم والكبر، والتعالي واحتقار الخلق، ويشيع الكذب وسوء الظن والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق، كما تنشأ القطيعة وفساد ذات البين وفقدان الثقة وعدم المصداقية واتباع الهوى. الخ

(٢٥٥) الحديث متفق عليه: صحيح البخاري ، ٥/ ٢٣ برقم ٣٧٣٣، ومسلم في صحيحه، باب: قطع السارق الشريف وغيره، ١٣١٥/٣واللفظ له، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢٥٦) أدب الدنيا والدين للإمام الماوردي، الباب الرابع: أدب الدنيا، ١٦٩/١.

(٢٥٧) سورة الحجرات الآية: ١٣.

خاتمة البحث

١- أدب الإنصاف من أهم الآداب السامية التي يجب أن يتحلى بها كل باحث عن الحق، وكل داعية إلى الله تعالى، وكل مسؤول مع من يتولى مسؤوليتهم، وكل صحفي فيما يكتب وينشر، أدب يجب أن يسود في المجتمع كله، لتحصل المودة والألفة، والأمن والسلم الاجتماعي.

٢- حفل القرآن الكريم والسنة النبوية بنماذج وأمثلة للأخلاق والآداب السامية، ومنها العدل والإنصاف، مما يعدُّ بحق نبراساً ودستوراً للمسلمين، وجب عليهم أن يتعلموه ويعملوا بما فيه.

٣- إن علماء المسلمين ومنظروهم قد سطروا بأحرف من نور أمثلة ونماذج في الإنصاف والعدل مع المخالفين؛ وفرَّعوا على الأصول فروعا ومبادئ عملية، مما لا نظير له ولا شبيه عند أمة من الأمم، أو ملة من الملل ، وعلى المسلمين أن يحذوا حذو علمائهم المنصفين.

٤- لقد عانت الأمة الإسلامية كثيراً من آثار المعارك الفكرية بين أبنائها والتي دفع إليها البغض والكراهية، وغاب عنها الإنصاف وعدم الموضوعية بين المختلفين الذين فرقتهم عصبياتهم المذهبية، وولاءاتهم الحزبية الضيقة، وكان الأولى بهم . لو أنصفوا . أن يعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه، ويتعاونوا على العمل البنَّاء، والنهضة القوية بأمتهم في مواجهة التحديات الخارجية.

٥- إن من أعظم مواطن الإنصاف: إنصاف العلماء، بتعظيم حقهم، وذكر ما لهم من حسنات وفضائل، وغض الطرف عمَّا بدر منهم من هفوات وزلات، وتلمُّس الأعذار لهم؛ فمن العيب على المرء أن يقع فيهم، وأن يتتبع هفواتهم وعوراتهم، فتكون النتيجة أن يصاب قطاع عريض من الأمة بالحيرة والتخبط ، وربما هجر علمهم المبتدؤون، ووقعوا فريسة الأفكار المنحرفة، والتيارات الهدامة.

٦- إن أولى مجالات الإنصاف: الإنصاف العلمي، وأولى الناس به هم العلماء والباحثون، فأمانة العلم تقتضي منهم التحلي بأخلاق الإسلام، ومنها العدل والإنصاف، والحياد، والموضوعية، والنزاهة العلمية، مع استحضار رقابة الله تعالى فيما أقامهم فيه من أمانة التوقيع عن الله ورسوله ﷺ.

٧- أنَّ على الأمة الإسلامية . أفراداً ومجتمعات . التمسك بأخلاق الإسلام، وآداب الخلاف والحوار، حتى تكون على مستوى الرسالة العالمية التي تحملها إلى العالم كافة.

أهم المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

١. إحياء علوم الدين ، للإمام أبي حامد الغزالي، ٤٤/١، ط: الأولى . دار الريان بالقاهرة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٢. أخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه : لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، المعروف بالخطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي – دار ابن الجوزي بالسعودية، سنة ١٤١٧هـ.

٣. الأخلاق والسِّير، للإمام علي بن أحمد بن سعيد بْنِ حَزْمٍ الأَنْدَلُسِيّ (ت٤٥٦هـ) ط: الأولى، ١٤٠٨هـ١٩٨٨، دار المشرق العربي، القاهرة. تحقيق : عادل أبو المعاطي.

٤. أدب الاختلاف في الإسلام للدكتور جابر فياض علواني الكتاب التاسع لمجلة الأمة القطرية،

٥. أدب الاختلاف في الإسلام) للدكتور عبد الله بن بيه، ط عالم الكتاب.

٦. أدب الدنيا والدين للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ط: الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٧. أدب الطلب، للإمام محمد على الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، تحقيق عبد الله السريحي، دار ابن حزم لسنة (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) . لبنان / بيروت.

٨. الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، مكتبة القدس لنشر التراث ، بدون.

٩. الأساس في تفسير القرآن للشيخ سعيد حوى، ط: الخامسة ١٩٩٩م ١٤١٩ هـ، دار السلام . القاهرة،

١٠. الاعتصام للإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي مكتبة مصر الفجالة، بدون.

١١. إعلام الموقعين عن رب العالمين لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

١٢. إنصاف الخصم في القرآن وأثره الإعلامي) للدكتور عبد الحليم حفني ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.

١٣. انظر: الأخلاق والسِّير، لابن حزم الأندلسي (ص: ٨٠).

١٤. الأنوار الكاشفة لما في أضواء على السنة من الزيف والتضليل والمجازفة، لعبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، ط عالم الكتب، بيروت .١٤٠٢م،١٩٨٢هـ.

١٥. البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) تحقيق: عادل عبد الموجود،

دار الكتب العلمية . بيرت ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

١٦.التحرير والتنوير: «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» للشيخ: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس،١٩٨٤ هـ.

١٧.التعصب والتسامح بين اليهودية والإسلام للشيخ محمد الغزالي، ط: نهضة مصر.

١٨.بُلُوغُ اَلْمَرَامِ مِنْ أَدِلَّةِ اَلْأَحْكَامِ للإمام: ابن حجر العسقلاني، مكتبة السنة المحمدية، تحقيق محمد حامد الفقي، بدون.

١٩. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، للشيخ عبد الرحمن السعدي، ط: الرابعة وزارة الشئون الإسلامية . السعودية.

٢٠.تذكرة الحفاظ تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ١٩٩٨م

٢١.تفسير القرآن العظيم للحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(٧٠٠ –٧٧٤ هـ) تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

٢٢.التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي، ط: دار الفكر ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، بيروت لبنان.

٢٣.تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، ط: دار القلم ١٤٠٨هـ١٩٨٨م.

٢٤.التواضع والخمول: لابن أبي الدنيا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ – ١٩٨٩.

٢٥.التوقيف على مهمات التعاريف. (للمناوي) محمد عبد الرؤوف المناوي الطبعة الأولى، ١٤١٠، تحقيق عبد الحميد حمدان . القاهرة ١٤١٠).

٢٦.جامع العلوم والحكم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي، ط دار إحياء الكتب العربية الحلبي تحقيق: د. محمد بكر إسماعيل، بدون تاريخ.

٢٧.جامع بيان العلم وفضله لأبي عبد الله يوسف بن عبد الله القرطبي، تحقيق فواز زمرلي مؤسسة الريان . دار ابن حزم ط الأولى**1424**هـ **2003**مـ

٢٨.الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط الثانية ١٤١٦هـ ١٩٩٦م تحقيق د محمد إبراهيم الحفناوي، د محمود عثمان دار الحديث . القاهرة.

٢٩.حاشية السندي على ابن ماجة ط: الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.

٣٠.الخراج للقاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم(صاحب أبي حنيفة)، ط المكتبة الأزهرية للتراث ١٤٢٠-١٩٩٩م.

٣١.خصائص الأمة الحضارية كما بينتها سورة المائدة) د. إبراهيم زيد الكيلاني، ط الأولى= ١٤٨٢-هـ ٢٠٠٤م، جمعية المحافظة على القرآن الكريم . الأردن.

٣٢.الذريعة إلى مكارم الشريعة لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ط: الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ، تحقيق د أبو اليزيد العجمي، دار الصحوة ودار الوفاء بالقاهرة.

٣٣.رفع الملام عن الأئمة الأعلام للإمام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨ هـ) ط: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، السعودية.١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

٣٤.روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، للإمام أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، باختصار ط دار الفكر ١٩٩٤م/١٤١٤هـ

٣٥. زهرة التفاسير للإمام محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي

٣٦.سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

٣٧.شبهات المشككين(ردود على أهم شبهات المشككين) لمجموعة من العلماء، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تقديم الدكتور محمود زقزوق.

٣٨.شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني(ت١١٢٢)، دار الكتب العلمية ١٤١١هـ، بيروت.

٣٩.صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دار طوق النجاة ط: الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

٤٠.صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري دار إحياء التراث

٤١.صيد الخاطر لابن الجوزي، ط دار الفكر ، بدون تاريخ.

٤٢.العوائق) لمحمد أحمد الراشد ص ١٣٨ وما بعدها الجزء الثاني من سلسلة في فقه الدعوة مؤسسة الرسالة.

٤٣.فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣- ٨٥٢هـ) دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ.

٤٤.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت.

٤٥.فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، ط الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة.

٤٦.فيض الباري شرح صحيح البخاري للشيخ أمالي محمد أنور شاه الكشميري، ط الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م دار الكتب.

٤٧. القواعد في الفقه الإسلامي) للإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى : ٧٩٥هـ) تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية.

٤٨.الكامل في ضعفاء الرجال، لعبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، دار الفكر – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩ – ١٩٨٨، تحقيق: يحيى مختار غزاوي.

٤٩.كتاب المرتضى لأبي الحسن على الحسني الندوي، ط: الأولى ١٤٠٩هـ١٩٨٩م دار القلم.

٥٠.لسان العرب، (محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري) الطبعة الأولى دار صادر – بيروت.

٥١.المجروحين) لابن حبان أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق : محمود إبراهيم زايد دار الوعي – حلب بدون.

٥٢.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي الناشر: دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ.

٥٣.مجموع الفتاوى لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (٧٢٨/٦٦١هـ) مكتبة ابن تيمية لسنة: ١٤٠٠هـ.

٥٤.مصنف عبد الرزاق لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي – بيروت لطبعة الثانية ، ١٤٠٣ ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

٥٥.معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري ط: عيسى البابي الحلبي بدون

٥٦.المعجم الكبير للطبراني، باب: كعب بن مالك الأنصاري، ط الثانية ١٤٠٤هـ١٩٨٣م.

٥٧.المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ط مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٠م.

٥٨.المقاصد الحسنة المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام السَّخاوي، عبد الرحمن دار الكتاب العربي، بدون

٥٩.ملحق جريدة صوت الأزهر، العدد ٧٩٩ (بتاريخ ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٦هـ ١٦ من يناير ٢٠١٥م).

٦٠.من ركائز الإنصاف في مباحث الخلاف للشيخ حمد بن ناصر آل معمر ط المكتبة الدولية بدون.

٦١.من معالم الوسطية: الإنصاف عند الاختلاف) مقال أ.د.أحمد الريسوني على صفحته على الشبكة العنكبوتية بتاريخ ١٥مارس ٢٠١٢م.

٦٢.الموافقات للإمام للإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، ط الثانية ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، دار المعرفة . بيروت.

٦٣.موسوعة الفقه الإسلامي المصرية ، ط:المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٦٤.نظرات في مسيرة العمل الإسلامي للأستاذ عمر عبيد حسنة، سلسلة كتاب الأمة ط الأولى ١٤٠٥هـ.

٦٥.النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير)، المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ١٩٧٩م تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.

٦٦.والإنصاف فيما أثير حوله الخلاف للدكتور: عمر عبد الله كامل، وما بعدها ط: الأولى ٢٠١٠، دار الوابل الصيب.

فهرس الموضوعات

Contents

المُقدَّمـة ٤٤١
أسباب الكتابة في الموضوع: ٤٤٥
الدراسات السابقة: ٤٤٥
منهجي في البحث: ٤٤٧
المبحث الأول: ٤٤٨
الإنصاف وأهميته في الإسلام ٤٤٨
اولاً: تعريف الإنصاف: ٤٤٨
ثانياً: أهمية الإنصاف في الإسلام : ٤٤٨
المبحث الثاني: ٤٥٣
علاقة الإنصاف بالعدل والاختلاف ٤٥٣
ثانياً: علاقة الإنصاف بالاختلاف: ٤٥٤
٣ـ هل اختلاف الأمة رحمة أم عذاب؟ ٤٥٦
٤ـ لماذا الإنصاف عند الاختلاف؟ ٤٥٨
المبحث الثاني: ٤٦٠
ركائـــــــز الإنـــــــــصاف ومجالاته ٤٦٠
أولاً: ركائز الإنصاف: ٤٦١
١ـ الإخلاص في طلب الحق ومجانبة الهوى: ٤٦١
٢ـ نبذ التعصب الأعمى، وإعذار المخالف: ٤٦٣
٣ـ الموضوعية في النقد: ٤٦٦
٤ـ التجرد من الأحكام والمقررات السابقة قبل دراسة النصوص: ٤٦٧
٥ ـ استجماع الأدلة والتثبت من حجج المخالف. ٤٦٨
٦ ـ شجاعة الاعتراف بالخطأ و قبول الحق: ٤٧٠
ثانياً: مجالات الإنصاف ٤٧٣
المبحث الثالث: ٤٧٦
نماذج من الإنصاف في القرآن الكريم : ٤٧٦
أولا: نموذج الأدلة النظرية: ٤٧٦
ثانياً :نموذج عدم التعميم في الحكم عليهم بالفساد. ٤٧٨
ثالثاً: نماذج تطبيقية للإنصاف في القرآن الكريم: ٤٨٠
رابعاً: نموذج في: الاعتراف بمزايا الخصم أو المخالف: () ٤٨٣
المبحث الرابع: ٤٨٧
نماذج من الإنصاف في السنة النبوية المشرفة. ٤٨٧
أولا: إنصافه مع الخصوم: ٤٨٧
ثانياً: إنصاف أصحاب السابقة والفضل ٤٨٨
ثالثاً: إنصاف في بيوت أزواج النبي: ٤٨٩

رابعاً: الإنصاف بين أفراد الأسرة الواحدة: ٤٩٠
١–وفي إنصاف الزوج لزوجه ٤٩١
-2نموذج: انصاف الزوجة لزوجها عند الافتراق ٤٩٢
خامساً: إنصاف النبي غير المسلمين بذكر ما لهم. ٤٩٣
المبحث الخامس ٤٩٧
نماذج من الإنصاف عند الاختلاف في تراثنا المجيد ٤٩٧
نماذج من إنصاف الفقهاء لبعضهم: ٤٩٩
نماذج تاريخية لإنصاف المسلمين لأهل الذمة: ٥٠٠
المبحث السادس : ٥٠٢
سلوكيات تتعارض مع الإنصاف ٥٠٢
المبحث السابع: ٥٠٥
أثر الإنصاف في الحياة الإنسانية ٥٠٥
أولاً: أثره على الفرد: ٥٠٥
ثانياً أثره على الأسرة ٥٠٥
ثالثاً: أثره على المجتمع ٥٠٥
خاتمة البحث ٥٠٧
أهم المصادر والمراجع ٥٠٨
فهرس الموضوعات ٥١٣